جماعة الأزهر للنشر والتأليف

ضرب الكليم

إعلان الحرب على العصر الحاضر

نظمه باللغة الأردوية
شاعر الاسلام الفيلسوف
محمد اقبال

وترجمه

الدكتور عبد الوهاب عزام بك
سفير مصر لدى الباكستان

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية
١٩٥٢

جماعة الأزهر للنشر والتأليف

ضَرْبُ الكَلِيم

إعلان الحرب على العصر الحاضر

نظمه باللغة الأردوية
شاعر الاسلام الفيلسوف
محمد اقبال

وترجمه
الدكتور عبد الوهاب عزام بك
سفير مصر لدى باكستان

القاهرة
مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية
٤٠ شارع نوبار باشا (سابقا شارع الدواوين)
١٩٥٢

إلى

جلالة الفاروق

رياح العُرب فى البيداء سيرى ‏ ‏ ‏ وموجَ النيل فى شغفٍ أثيرى
عن الفاروق[1] للفاروق أدّى ‏ ‏ ‏ بلاغَ الدين والمُلكِ الكبيرِ

* * *

بفطرتنا السيادةُ والكرامه ‏ ‏ ‏ وفوق جبيننا سطرُ الإمامه
بقلبك فانظرنْ دُنيا جلاها ‏ ‏ ‏ من الفاروق[2] قلبٌ ذو شهامه

* * *

فمن يكشِفْ له السرّ اليقينُ ‏ ‏ ‏ يُوَحّدْ ما تُثنّيه العيونُ
كقنديلين قد مزَجا ضياء ‏ ‏ ‏ تألفَ بيننا مُلكٌ ودينُ

* * *

إذا الإسلامُ قد صدق البلاء ‏ ‏ ‏ غُبار طريقه يسمو سماء
شرارَ الشوقِ فاحفظ إن تجِدْه ‏ ‏ ‏ فإنك مُطلِعٌ منه ذُكاء

(*) فى ديوان « أرمغان حجاز » لاقبال رباعيات عنوانها (الفاروق) ، كتبها الشاعر حينما جلس جلالة الفاروق على العرش . وهذه ترجمتها من الفارسية .

(١و٢) الفاروق الأول عمر رضى الله عنه .



محمد اقبال



الدكتور عبد الوهاب عزام بك

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

— ١ —

نسألك اللهم الإلهام والتوفيق . وبعد فقد يسر الله تعالى منذ عشرة أشهر ترجمة ديوان بيام مشرق الذى نظمه بالفارسية الشاعر الفيلسوف محمد إقبال رحمه الله . وتم طبع الديوان بالعربية فى مدينة كراجى حين الذكرى الثالثة عشرة لوفاة الشاعر فى شهر نيسان (ابريل) سنة ١٩٥١

وقدمت جماعة إقبال الديوان العربى إلى حاكم باكستان العام فى احتفال رسمى حاشد .

وكانت ترجمة أحد دواوين إقبال إلى العربية تحقيق أمنية كبيرة للشاعر رحمه الله ، واستجابة لأمل قديم فى نفسى ، وبلوغ غاية حاولت المسير إليها مرات فعوقتنى الشواغل .

وكان لهذه الترجمة أثر بليغ فى نفوس علماء باكستان وأدبائها وساستها ، وقبول حسن عند قراء العربية .

— ٢ —

دعانى هذا الظفر إلى الاستقامة على الطريق لأترجم دواوين أخرى للشاعر العظيم ، وهوّن على المضىّ فيما بدأت واحتمال المشقة فيما تصديت

له ، ودعا كثيراً ممن يعرفني من أهل باكستان إلى أن يتوجهوا إلىّ ناظرين ترجمة أخرى .

وذكرت الديوان الذى هممت بترجمته من قبل. وهو «جاويد نامه» القصة التى بيّن فيها إقبال كثيراً من أحوال المسلمين وكثيراً من آرائه وفلسفته أثناء رحلة فى الكواكب دليله فيها الشاعر الصوفى الكبير جلال الدين الرومى صاحب المثنوى .

وما ترددت فى إيثار جاويد نامه بالترجمة بعد « بيام مشرق »

ولكن صديقاً أديباً من محبى إقبال المعجبين به ، العارفين بشعره وفلسفته وسيرته ، ومن الذين خالطوه كثيراً فى حياته ، ولم يدخروا جُهداً فى بيان دعوته والتعريف به — اقترح على ترجمة ديوان آخر.

قال الصديق الأستاذ أحمد برويز : أرى أن تترجم « ضرب كليم » لأنه آخر ما نشر المؤلف وآخر ما نظم إلا ديوان أرمغان حجاز الذى نشر بعد وفاته . وهو، إلى هذا ، تتجلى فيه فلسفة إقبال القوية ، ودعوته الصريحة، فى أمور معيَّنة جعلها فى الديوان فصولا. ثم جاويدنامه منظومة واحدة طويلة عميقة يحتاج قارئها إلى زاد كثير من الفلسفة والتاريخ . ولا يتيسر إدراك مراميها إلا لقارئ أوتى حظاً موفوراً من العلم والأدب . ومترجمها لا يبلغ غايته حتى ينتهى منها ؛ على حين أن مترجم ضرب كليم ينهى عملا بترجمة كل قطعة فيه ، ويبلغ غاية كلما انتهى من فصل . وهو بعد هذا وذاك ، أقل أبياتاً، وأيسر كلفة .

وما زال الصديق يوالى الحجج ، حتى وافقته على أن أقدم « ضرب كليم » على « جاويد نامه » مؤخراً هذه القصة مرة أخرى. والله المستعان.

رأينا أن نجتمع على قراءة الكتاب ، واستقصاء معانيه ، والتعمق فى عباراته وإشاراته، قبل بدء الترجمة .

وتواعدنا أن نجتمع فى دار السفارة المصرية من مدينة كراجى ، ونوالى الاجتماع كل أسبوع مرتين أو ثلاثاً حتى نفرغ من الديوان .

وحرصنا على ألا نتفرق عن مجلس حتى نتفق على موعد المجلس التالى ، خشية أن تصرفنا الأشغال عن هذه المجالس . وكانت أفئدتنا تهفو إليها ، وذكراها تحبب إلينا أن نسارع إليها .

كنت أنا والأستاذ أحمد برويز والأستاذ سيد عبد الواحد مدير الغابات فى باكستان ، وهو أحد المؤلفين فى سيرة إقبال وفلسفته ، أركان هذا المجلس . وكان يختلف الينا إخوان من محبي إقبال منهم من يشهد مجالس متتابعة ، ومنهم من يشهد جلسة أو جلستين ثم يغب أو ينقطع . فكانت الحلقة تضيق وتتسع .

وكنا بين الحين والحين ندعو إلى وليمة نستكثر فيها من أعضاء جماعة إقبال فى كراجى ، وندعو إليها رئيسها الفاضل نذير أحمد وزير الصناعة حينئذ .

وكان الأخ أحمد برويز شيخ المجلس ، يتولى القراءة والشرح ، ويفيض فى الابانة عن آراء إقبال ، ويستطرد إلى كلام فى الشعر أو الفلسفة ، وإلى وصل كلام إقبال بالقرآن الكريم .

وقد سميت المجلس « مجلس إقبال » أو « مجلس الإقبال » وسميت

حاضريه « دراويش إقبال » أو « قلندران إقبال » وسميت أحمد برويز شيخ الدراويش أو « شيخ قلندران إقبال » .

° ° °

شرعنا فى القراءة عقب عيد الفطر من سنة ١٣٧٠ هـ . فلما فرغنا كتبت فى بياض بالصفحة الأخيرة من الكتاب :

« تمت القراءة عشاء يوم السبت خامس المحرم سنة ١٣٧١ هـ (٦ أكتوبر سنة ١٩٥١ م) » .

« والحمد لله أولا وآخراً ورحم الله إقبالا » .

فقد قرأنا الكتاب فى ثلاثة أشهر . ولا جرم أننا شغلنا عن المجلس أحياناً فلم نتابع مجالسنا على ما قدّرنا .

وشرعت فى الترجمة ليلة الاثنين حادى عشر شوال سنة ١٣٧٠ هـ (١٦ تموز ١٩٥١ م) .

فلما فرغت منها كتبت تحت السطور التى أرخت فيها إتمام القراءة :

« يسر الله الفراغ من الترجمة عشاء ليلة الأحد ١٨ صفر الخير سنة ١٣٧١ هـ (٨ تشرين الثانى ١٩٥٢ م) » .

فقد شغلتنى الترجمة زهاء أربعة أشهر وفرغت منها بعد شهر ونصف من إتمام القراءة .

— ٤ —

آثرت أن أطبع الديوان فى مصر لأبلغ فيه ما فاتنى فى بيام مشرق [من] وضوح الحروف واستكمال الشكل . ولبثت أرتقب سفرى إلى الوطن المبارك . فلما بلغته فى السادس من كانون الأول (ديسمبر) شرعت أبيض الديوان وأعده للطبع ، بين شواغل وأسفار متوالية وتولى

رقمه[1] ولدنا الفاضل محمود جعفر الجبالى المفتش بمصلحة الضرائب .

ورغبت إلىّ «جماعة الأزهر للنشر والتأليف» أن يكون الديوان من مطبوعاتها فسلمته إليها شاكراً . ووددت أن ينجز طبعه وأنا فى مصر لأنظر فى تصحيحه ، ووضع كلمة مكان أخرى أثناء التصحيح . ولكن لم يكن بد من العودة إلى باكستان قبل طبع الكتاب .

فتولى الاشراف على الطبع وإرسال النماذج إلىّ بالبريد الجوى ، الأستاذ محمود الجبالى أيضاً جزاه الله خير الجزاء .

° ° °

إن من سعادة الجد أن أحقق أمنية الشاعر الفيلسوف العظيم ، وأزيد فى ثراء لغة القرآن بترجمة بعض دواوين إقبال إلى العربية .

ويزيدنى غبطة ، ويشرح صدرى ، أن أنشر ديوان ضرب كليم حين الذكرى الرابعة عشرة لوفاة شاعر الاسلام النابغة ، كما امتلأت نفسى سروراً ، وقلبى نوراً ، حينما نشرت بيام مشرق فى الذكرى الثالثة عشرة لوفاته . كم رجوت أن أترجم من دواوين إقبال ولكن ما طمعت قط فيما يسره الله لى من ترجمة ديوانين فى أقل من ثمانية أشهر ، ونشرهما فى سنة واحدة .

والحمد لله على توفيقه . وهو المسئول أن يوفق ويلهم ويسدد . وهو حسبى ونعم الوكيل .

مدينة كراجى

١٥ آذار سنة ١٣٧١ هـ
١٩ جمادى الثانية سنة ١٩٥٢ م

---

(١) وضعت كلمة مرقم لما يسمى الآلة الكاتبة فاستعملت كلمة راقم لمن يسمى كاتباً على الآلة الكاتبة ، ورقم بدل كتب على الآلة الكاتبة . وقد استعملت هذه الكلمات فى جامعة فؤاد الأول فلعل استعمالها يشيع .

مدخل

« ضرب الكليم »

ديوان يشتمل على آراء ونظرات فى الناس جماعات ووحدانا وفى الدين والتربية والفنون والأدب والسياسة . فهو أدخل فى الفكر والفلسفة ولكن فيه من العاطفة والخيال ما يدخله فى الشعر .

وكل حقيقة فى هذا الكون أهل أن تدخل فى الشعر ، إن صبغتها عاطفة الإنسان ، أو صوّرها خياله . وموضوعات الشعر تتوالى من محيط دائرته إلى مركزها ؛ بعضها عند المحيط يدخل فى الشعر قليلا ، ويجاور ما هو خارج الدائرة . وبعضها أدخل فى الدائرة ، وهكذا تتوالى إلى مركز الدائرة ، على قدر نصيب الموضوعات من العاطفة والخيال .

فالكلام فى ضرب الكليم شعر يقارب الحقائق المجردة أحياناً ، ويمعن فى الشعر أحياناً ولكنه فى جملته أقرب إلى المحيط منه إلى المركز .

ومن أجل هذا لقيت فى ترجمته عناء أكثر مما لقيت فى ترجمة بيام مشرق ، إذ حرصت على ألاتذهب الترجمة بقَسَمات الشعر فيه ، وألا ينصل بها الخضاب الشعرى القليل ، وألا يذبل هذا الزهر الصغير بالانتقال من روضة إلى روضة ، وألا تضيع الدقائق الشعرية بين لغتين مختلفتين وأسلوبين من البيان متباعدين .

والكتاب فى جملته ضرب يفجر المـاء من الحجر لاموسيقى وغناء كما قال إقبال :

كفاح شديد وضرب سديد

فلا تبغ فى الحرب عزف الوتر

ومن أجل هذا سماه ضرب الكليم ، رمزاً إلى قصة موسى حين ضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً .

فلعل القارئ يقدر حقائقه فى معرض من الشعر شفاف أكثر مما يلتمس فيه خيال الشعر وزينته وبهجته . ولعله كذلك يقدر عناء المنشئ والمترجم فى عرض هذه الحقائق والإبانة عنها فى أسلوب من الشعر الرصين .

فصول الديوان

قسم الشاعر ديوان ضرب الكليم على ستة فصول . وقدم قبلها قطعتين وقصيدة : القطعة الأولى أبيات قدم بها الديوان إلى أمير بهوبال حميد الله خان ، والثانية يخاطب فيها القراء. والقصيدة سماها تمهيدا

وهذه فصول الديوان :

١ ـ الاسلام والمسلمون، (وهو أطول الفصول)

٢ ـ التعليم والتربية .

٣ ـ المـــرأة .

٤ ـ آداب الفنون الجميلة ، (وهو ثانى الفصول طولا)

٥ ــ سياسيات المشرق والمغرب .

٦ ــ أفكار محراب كل الافغانى.

وهذه الفصول مؤلفة من قطع صغيرة بين بيتين وعشرة لا تتجاوز العشرة إلا قليلا .

والفصل الأخير منظومة واحدة مقسمة عشرين قسما تختلف أقسامها أوزاناً وقوافى ولكن الشاعر جعلها منظومة واحدة وربط بين أقسامها بأعداد متوالية .

والقطع فى الفصول كلها ، إن عددنا أقسام الفصل الأخير ، مائتان واثنتان .

وفى المقدمة أربع قطع .

فلسفة إقبال

لابد من كلمة موجزة فى فلسفة إقبال تعين القارئ على إدراك مرامى الشاعر.

أساس فلسفة إقبال ما سماه « خودى » (الذات أو الذاتية) .

وقد بين مذهبه هذا فى كثير من شعره وخص به منظومة سماها أسرار خودى .

وخلاصة هذه الفلسفة ، وما بنى عليها ، وما يتصل بها من آراء:

(ا) أن الذاتية جوهر الكون وأساس نظامه، وسر الحياة فيه .

(ب) وأن الذاتية هذه تحيا من تخليق المقاصد ، وتوليد الآمال .

كما يقول إقبال : « نحن أحياء بتخليق المقاصد ونحن منيرون من شعاع الأمل » .

(ح) وأن الذات تقوى بعشق ما تؤمل ، وسعيها إليه غير متوانية وإقدامها عليه غير هيابة واقتحامها كل عقبة فى سبيله كما قال : « وهى بالمحبة أقوى ، وأحيا وأضوأ » .

(د) والجهاد الدائم ، والكفاح المتصل تقوى به الحياة وتزداد وتنير . والأحجام ، والتردد والسكون إلى الدعة والخضوع تضعف الحياة وتطفئها .

(ه) وعلى الانسان أن يستخرج كل ما فى فطرته من مواهب ، وأن يعتمد على نفسه ، ويظهر ذاته فى قوله وفعله ، ويحذر التقليد والاعتماد على غيره ، وطلب ما عند الناس والغفلة عما فى نفسه من كنوز .

(و) بهذا كله تقوى الذات ، وقوة الذات هى مقصد هذه الحياة . والشاعر معجب بالقوة فى كل شيء ، القوة الحسية ، والقوة المعنوية . وهو بهذا يعجب بالفيلسوف الألمانى نيتشه ويذكره كثيراً ولكنه يأخذ عليه أنه عرف العقل لا القلب ، والجسم لا الروح ، والعلم لا العشق ويقول عنه لم يكن أهلا لنكتة التوحيد ، وأنه آمن عقله وكفر قلبه ، وأنه بنى موثنا على أسس مسجد .

بل القوة عند إقبال من عناصر الجمال ، فان الجمال لا يكون بغير جلال .

يقول فى القطعة التى عنوانها : الجلال والجمال :

عندى جمال فى بهاء أن تُرَى

فى سجدة للقوة الأفلاكُ

ولنغمةٌ من دون نار نفخة

ما الحسن إلا بالجلال يُحاكُ

بل يقول فى هذه القطعة إنه لا يحب أن يعذب بنار غير قوية :

لا أرتضى نار الجزاء ولم تكن

وهاجة ولهيبها درّاكُ

(ز) والحسن والقبح أو الخير والشر من علو الذات وانحطاطها وقوتها وضعفها :

عالَم الذات به علو وسفل

وبه معرك قُبح وجمالِ

فى اعتلاء الذات ما يبدو جميل

وقبيحٌ ما بدا فى الاِستفال

(ح) والذات المفردة القويّة الناضجة تنسلك فى الجماعة ، ولاتفنى فيها . وقد بين إقبال فى ديوانه أسرار خودى كيف يلتئم الواحد القوى فى جماعته وكيف يسعد بهذا الالتئام ويبقى ولا يفنى . ومن إشاراته فى هذا :

يا من فى القافلة سِرْ رفيقاً وكن وحيداً .

ويقول فى ضرب كليم فى القطعة التى عنوانها الرجل العظيم :

هو فى المجمع خال ومن الحشد طليق

مثل شمع الحفل ، فى الحفل وحيد ورفيق

(ط) والانسان أعظم الكائنات ، وكل شيء في العالم مسخّر له كما فى القرآن الكريم :

« ولقد كرّمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضّلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

« وسخّر لكم ما فى السمٰوات وما فى الأرض جميعاً منه » .

« وسخّر لكم الأنهار وسخّر لكم الشمس والقمر دائبين وسخّر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه . وإن تعدّوا نعمة الله لاتحصوها . »

(ى) والانسان حر غير مجبر ، ومخيّر غير مسيّر . عزمه دليل على القضاء أو مشير عليه . والمؤمن الحر هو مقياس الصلاح والفساد والبقاء والفناء فى هذه الدنيا بل فى الدنيا والآخرة :

فيه عزم على القضـــاء مُشـير
وهـــو فى العـــالمَين كالميزان

النبات والجماد فى قهر الطبيعة ولكن المؤمن الحر لا يقيده إلا إطاعته أحكام ربه :

إن النبـــات وإن الجامدات لهـــا
من القضـــاء قيود ذات إحـــكام
والمؤمن الحـــــر لا شيء يقيّده
لكنْ لخالقـــه فى قَيد أحـــكام

يا — الحضارة الحديثة

ويروى إقبال أن الحضارة الأوربية مادية ، لاروح لها ولا قلب . ويشتدّ فى نقدها ، ويذكر فلاسفتها فيقبل من آرائهم قليلا ويردّ كثيراً ويرى أن فى الاسلام وحضارته سعادة البشرة والتأليف بينهم ، وجمعهم على شرعة الحق أخوةً متحابّين متعاونين .

يب — فلسفته فى هذا الديوان

تتجلى فلسفة إقبال ، فى الذات وما يتصل بها ونظره إلى الحضارتين الاسلامية والأوربية وسائر آرائه ، فى كل فصول هذا الديوان ، حتى الأدب والفنون الجميلة .

الشعر فيه من الحياة رسـالة
أبديّة لا تقبل التبـديلا
إن كان من جبريل فيه نغمـة
أو كان فيه صُـور إسرافيلا

— صمت طير الصبح أولى من غناء
إن سرى فى الرّوض باللحن ذبولُ

والغناء إن أدى إلى ضعف أو خَوَر فهو حرام :

إن سرت فى اللحون دعوة موت
حرُم النايُ عنـدنا والربابُ

والمصور ينبغى أن يصور الحياة وأن يطبع ذاته على الطبعة لا أن يحاكيها :

مقصد الفنّ فى الحياة لهيب
أبدىٌ فما وَميضُ الشرار ؟
يا خبيراً بفنه فيه تمت
صنعةُ العصر والعصور الخوالى
كم ترى من طبيعة وتريها ؛
أرِنا الذات فوق هذى المجالى

تفسير اصطلاحات فى الديوان

« الفقر »

يشيد إقبال بالفقر فى مواضع كثيرة من شعره فى هذا الديوان وفى غيره ، ويعدّه مفتاح كل خير والوسيلة إلى كل سؤدد ، والمقتحم كل عقبة .

ومن الأبيات التى ذكر فيها الفقر فى هذا الديوان :

فى القطعة : « على ذكر الاذن بحمل السيف » :

أيها المسلم تدرى اليوم ما
قيمة الفولاذ والعَضْبِ الذكَر
هو مِصراعٌ من البيت الذى
مضمرٌ فيه من التوحيد سرّ

وأرى مصراعه الثاني في

سيف فقر تحتويه كفُّ حر

وقوله ، في القطعة « الفقر والملكية » :

الفقر يمضي بلا سلاح

في حومة الحرب كالرجوم

وقوله ، في قطعة « السلطان » :

تعلّم فألف مقام وشأن

لفقر بدا فيه روح القُرآن

وقوله ، في قطعة « الامامة » :

يُمِرّ عليك من فقر مِسَنّاً

فيطبع منك سيفاً للمنايا

وقوله ، في القطعة « نكتة التوحيد » :

أيُّ ملك مقام فقر ، ولكن

تؤثر الذل مذعناً . ما احتيالي

وقوله ، في القطعة التي أولها : متاعك في الحياة فنون علم :

وما إن ذل قوم قد أعدّوا

حماس العشق والفقرِ الغيور

ويتبين من التأمل في هذه الأبيات أن الفقر في لغة إقبال ليس عدم المال أو قلته ، ولا هو حاجة إلى ما يعيش به الانسان ويعتز به من متاع الدنيا . فماذا يعني إقبال حين يذكر الفقر ويشيد به ويبالغ في إكباره ؟ الذي أدركته من كلام الشاعر أن الفقر الذي يعنيه هو

خلاص النفس من قيد التملك أو الطمع ، ومضيها عاملة مقـدمة لا يطغيها وجدان ولا يذلها حرمان . وربما يملك الفقير قناطير من الذهب وربما يكون ملكاً مسلَّطاً لا يُعجز سلطانه مال أومتاع .

وليس هذا المعنى بعيداً عما فسَّر به بعض الصوفية الفقر .

فى رسالة القشيرى :

سئل يحيى بن معاذ عن الفقر ، فقال :

« حقيقته ألا يستغنى إلا بالله » .

وقال الشبلى :

« أدنى علامات الفقر أن لو كانت الدنيا بأسرها لأحد فأنفقها فى يوم ثم خطر له أن لو أمسك منها قوت يوم ما صَدَق فى فقره » .

وفى الرسالة أيضاً :

« وقيل صحة الفقر ألا يستغنى الفقير فى فقره بشىء إلا بمن إليه فقره » .

وفى كتاب عوارف المعارف للسهروردى :

« وقال الكتانى : إذا صح الافتقار إلى الله تعالى صح الغنى بالله تعالى . لأنهما حالان لا يتم أحدهما إلا بالآخر » .

فترى أن الفقر فى هذا الكلام ليس عدم الملك وفوات المـال ؛ ولكن ألا يرتبط الانسان بما أدرك أو بما فات . أعنى ألا تكون الدنيا فى قلبه وإن كانت فى يده .

« قلندر »

يعني به إقبال الانسان الذى لايصل نفسه بمال ولا أهل ولادار.
وهو فى الأصل اسم رجل ذهب هذا المذهب وأحدث طريقة كان سالكوها يديمون السفر لا يلبثون فى مكان ، ولا يقيدهم ملك ولا أهل ولا وطن . ويحلقون رؤوسهم ولحاهم .
وسمى سالك هذه الطريقة قلندرا باسم صاحب الطريقة .
وقد رأيت أن أبقى اللفظ فى الترجمة لأنه علم فى الأصل . وجعلته أحياناً وصفاً وأحياناً نسبت إليه فقلت : القلندر والقلندرىّ .

« الجنون »

يكرر الشاعر ذكر الجنون فى هذا الديوان ، ففى القطعة التى أولها :

إلى عصبات العـــرب ما أنا منتمٍ
ولا أنا هنـــدى ولا أنا أعجمى

يقـــول :

فلست أرى فى بيدِك اليوم جنّـــة
تَشبّ بهـــذا العقل نار التقـــدم

وفى القطعة التى أولهـــا :

متاعك فى الحياة فنون علم :

يقـــول :

ومزّقتُ الجيوبَ وأنت خـــال
جنونى – لا ألومك – فى قُصـــور

وفى القطعة ، « يا شيخ الحرم » :

فى جنــــونى لك أسرار بـــــدت

فاجْــزنى يا شيخُ عن هذا اللــمم

وفى القطعة التى عنوانها « المدرسة » :

أبعَد الدرس عن حـــــاك جنونا

قال للعقل : لا تَلُـذْ بنقــــاش

وفى القطعة « فلسفة » :

إن فى حلقة المجانين عقـــــلا

فى شرار يــــرى لهيباً مُضِيـّـاً

وظاهر أن إقبالا يعنى بهذا الجنون الحماسَ والاقدامَ وأداء الواجب دون تردد ، وفى غير حساب للمشقة والربح والخسارة ، فهو قريب من العشق الذى يذكر فى مقابلة العقل .

وكأنه يقول إن هذا الاقدام يَعُدُّه الناس جنوناً ، ونحن نحب هذا الجنون .

وللأستاذ أحمد برويز كلمة جامعة فى فلسفة إقبال وآرائه يجدها القارئ بعد هذه المقدمة .

وحسب القارئ أن يظفر بمقال برويز عن إقبال .

فحسبى الكلمات التى قدمتها .

عبد الوهاب عزام

ضرب الكليم

كلمة الأستاذ أحمد برويز

(ترجمت من الأردوية)

هذا الكتاب الذى تقدم إلى القراء ترجمته ، سماه العلامة إقبال « ضرب كليم » ووصفه بأنه (إيذان العصر الحاضر بالحرب) وأرى أن هذا الوصف لا يخص ضرب الكليم بل يشمل جانباً كبيراً من رسالة إقبال العظيمة . فنحن إذا قسمنا رسالة إقبال انقسمت إلى قسمين خطيرين :

الأول : ثورة على « الإسلام غير المنزل من الله » وضعه الأعاجم وخيلوا إلى الناس أنه عين الإسلام ، وفرضوه على الأمة التى بُعثت لتمحو ما لا يلائم الدعوة القرآنية . وكان هذا الكيد للإسلام انتقاماً من الهزيمة التى أصابت الأعاجم بسيوف المسلمين . فقد علموا أن سر القوة والسطوة فى هذه الأمة المجاهدة ، سنن القرآن وعقائده التى تبعث الحياة فى النفوس . فكادوا لها ليبعدوها من القرآن ويربكوها فى حبالة « الإسلام غير القرآنى » . وقد أحكموا كيدهم حتى حسب المسلم الغر هذا السراب ماء . لقد أدخلوا فى الإسلام فلسفة اليونان المخدرة ، وخضوع المجوس للسادة ، وشريعة اليهود المعنيّة بالصور والأشكال . كذلكم عمدوا إلى هذه الأمة التى كانت شعلة من العمل والإقدام فجعلوها بالاستسلام واليأس كومة من رماد .

والقسم الأول من رسالة إقبال نذير الموت لهذا الإسلام غير المنزل ، وبشير الحياة للإسلام القرآنى .

° ° °

والقسم الثانى من رسالة إقبال احتجاج دائم على هذه الفتن التى تموج بها الحضارة الغربية والتى يذهب موجها بشباب الأمة الإسلامية كما يذهب السيل بالغثاء . وضرب الكليم هو إيذان هذه الحضارة بالحرب .

ما حضارة العصر الحاضر ؟ ولماذا يشتد إقبال فى معاداتها ؟

لا نعرف جواب هذا السؤال حتى نعلم ما الحضارة الإسلامية .

ان من يتدبر القرآن يتجلى له أن الإسلام نظام حياة يسمى ديناً . فقد بيّن القرآن للحياة الإنسانية مقاصد ، وحدّ حدوداً . وجعل للإنسان الاختيار والاجتهاد غير متعد هذه الحدود وهذه المقاصد والحدود لا تتبدل ، فهى حقائق أبدية ، وقيم للحياة خالدة . يتبين من القرآن أن للحياة مظاهر مختلفة متغيرة ، ولكن لها ينبوعاً واحداً لا يتغير . وهذا الينبوع أصل هذه الحقائق التى ذكرت آنفاً .

والإيمان بوحدة ينبوع الحياة ، ينبوع الحقائق الأبدية ، يؤدى حتما إلى هذه النتائج :

(١) كل إنسان مودَع فى فطرته ممكنات الحياة ، وغاية الحياة نمو هذه الممكنات وتجليها . وهذه الجواهر الفطرية الخفية إذا نضجت وتلألأت تجلت ذات الإنسان . وحفظ هذه الذات وخلودها هما غاية سعى الإنسان وجهده .

(ب) والناس آحاد فى أخوة شاملة عامة ، لا تحدها الأوطان والأقوام واللغات .

(ج) ثم فلاح النوع الإنسانى فى أن يمضى فى الحياة على شريعة واحدة ، يُتلقى بالوحى . وهو اليوم محفوظ بين دفتى القرآن تحت هذه السماء .

° ° °

فى الإسلام نظام للمعايش محكم ، قائم على هذه القواعد المحكمة . يمضى الإنسان به على سنن التقدم والترقى حتى يبلغ فى مراحل الكمال سدرة المنتهى .

وإليك خصائص هذا النظام :

(ا) فى هذا النظام يستطيع كل فرد فى الجماعة أن يمثل فى نفسه الصفات الإلهية التى يسميها القرآن « الأسماء الحسنى » . وهى ينبوع القيم الدائمة فى الكائنات .

(ب) وتستحكم نفس الإنسان فيستطيع أن يوازن بين هذه الصفات كلها ، فقد وصفت الأسماء بأنها الحسنى . ولا يكون الحسن بغير اعتدال وتناسب .

(ج) وتتجلى فى الإنسان بصيرة يصح بها حكمه ، ويستقيم رأيه فيعلم أى هذه الصفات الإلهية تقابل أى الحادثات الخارجية التى تنتابه .

(د) ثم يبدو فى الجماعة التى تؤلفها أفراد من هذا القبيل ،

قدرة على تسخير عالم الطبيعة . وصلاحية للانتفاع بهذا التسخير فى فلاح الإنسان وسعادته .

(هـ) وبالإيمان المحكم بوحدة الخالق ، ووحدة الكائنات ، ووحدة الأمة وائتلافها ، تتوافق الأضداد الظاهرة بين الإنسان والكائنات ، وبين الإنسان والإنسان ، وبين الإنسان ونفسه ، فيزول التنافر والاضطراب عن الجماعة الإنسانية .

(و) ثم يرى كل واحد فى هذه الجماعة نفسه مظهراً للصفة الإلهية « رب العالمين » ، فيقوم على الإنسانية بالحق والعدل غير راج أجراً ولا عوضاً . فتيسّر لوحدان الجماعة ضروريات الحياة ، وتنمو فيهم القوى الفطرية ، وتذلل لهم الوسائل والأسباب أبداً .

° ° °

هذه خلاصة المدنية القرآنية فى كلمات قليلة . وعلى عكسها المدنية الحاضرة . فهى تناقض هذه الأصول كل المناقضة .

هذه المدنية قائمة على هذه الفلسفة : أن الحياة تنشأ من اجتماع العناصر المادية اتفاقاً ، وتفنى بتفرق هذه العناصر . والدنيا هى دنيا هذه العناصر المادية التى يتغير فيها كل شىء . فليس فيها قيم دائمة . وليس فيها قانون لمكافأة الأعمال . والخير ما يجلب لواحد أو جماعة نفعاً خاصاً (ولو كان فى هذا هلاك آحاد أو جماعات أخرى) . والشر ما يضر واحداً أو جماعة . وكل أمل هؤلاء الوحدان والجماعات فى الحياة أن تجر إلى أنفسها منفعة . وعمل العقل والعلم أن يهيىء الأسباب والوسائل أو الحيل والمكايد لتحصيل هذه المنفعة .

ونتيجة هذه الفلسفة (مدنية العصر الحاضر) فى الأفراد ، أن فى كل ستة من تلك الأفراد فرداً يختل عقله فيرسل إلى مستشفى المجانين ، كذلك دل إحصاء أهل الغرب أنفسهم . ونتيجة هذه الفلسفة فى الجماعات أن أمم العالم فى شغل بالقتل وسفك الدماء والتدمير ، أو بالاستعداد للقتل والسفك والتدمير .

° ° °

أنعم إقبال النظر فى فلسفة الحياة ، ونظريات السياسة والعمران، عند الأمم الغربية ، فتجلت له هذه الحقيقة : أن هذه الفلسفة، وهذا المنهاج فى الحياة يجعلان هذه الدنيا جهنم لا محالة .

وإلى هذا كشفت له السنن القرآنية حقائق الحياة حتى رأى البروق الكامنة فى السحب ، والعواصف المضمرة فى الرياح .

هذا النظر حفز إقبالا إلى أن يحذر الغرب ، فيقول للغربيين سنة ١٩٠٥ م : « ستقتل حضارتكم نفسها بخنجرها — لايثبت العش على غصن رطيب ضعيف مضطرب » .

ولم يأل إقبال جهداً ، منذ ذلك الحين إلى آخر لمحات حياته ، فى أن يحذر الناس عامة والأمم الإسلامية خاصة من هذه الحضارة الشيطانية ، ويخوفهم عواقبها .

° ° °

وهذه طائفة من النذر ، اسمها « ضرب كليم » يكتبها إقبال بعد أن يحطم كل أصنام العصر الحاضر ، ولكنه لايكتفى بأن يبطل

سحر الفرعونية والهامانية والقارونية[1] بل يهدى هذه الأمة فى نور القرآن إلى الأودية المباركة من سينا وفاران ، حيث تفيض البركة من ينابيع الأرض ، وينزل الخير من السماء .

هذا ما يتعلق بـ « ضرب كليم » . ويجدر بنا الآن أن نبرز نقطة من الأهمية بمكان فى دراسة إقبال بوجه عام ، وهى أن شعر إقبال حافل بكلمات معينة ، عربية وفارسية ، لم يقصد إلى مدلولها اللغوى ، إنما استخدمها كاصطلاحات من وضعه هو . إذن لايتأتى لأحد أن يتبين ما يرمى إليه الشاعر ما لم يكن ملماً بحدود تلك المصطلحات الخاصة ، مثل « علم وعشق ، ذكر وفكر ، خبر ونظر ، سوز وساز ، أو درويش وقلندر ومرد حُر » وأخرى غيرها . ومع أن كل واحدة من تلك الاصطلاحات لها أهميتها إلا أن من بينها اصطلاحاً هو بمثابة المحور لفكر إقبال ، المحور الذى حوله يدور شعره كله ، ألا وهو « خودى = الذاتية » . لقد كان هذا اللفظ يستعمل عندنا (بالأردوية) من قبل بمعنى الكبرياء والغرور (الأنانية) لكن إقبال أفاض عليه معنى خاصاً مغايراً للمعنى القديم الذى لم يلبث أن اختفى فى أيامنا هذه أمام مزاحمه الجديد .

فماذا يعنى إقبال بـ « خودى » ؟

ان الإجابة على هذا السؤال تأبى إلا البسط والتفصيل ، لأن فلسفة إقبال هى فلسفة « خودى » سواء بسواء ، بحيث لا يمكن الاحاطة بمغزى هذا الاصطلاح بدون استعراض فلسفته برمتها .

(١) يعنى صفات فرعون وهامان وقارون.

وليس هذا مقام التفصيل والإطناب ، إلا أنه نظراً إلى تكرار وجود هذا الاصطلاح فى « ضرب كليم » يتحتم علينا أن نعرّفه تعريفاً خاطفاً بكلمة موجزة قدر الإمكان :

هل شخصية الإنسان ووجوده الفردى ، أو بعبارة أخرى « أنا » حقيقة مستقلة أم هى من نسج الخيال فقط ؟ هذا هو السؤال الذى قلما أغفل مفكرو أية أمة من أمم العالم الإجابة عنه . فذهب أفلاطون ومن ورائه حكماء إيران والهند ، إلى أن الكون لا يتمتع إلا بالوجود الكلى وأن ذات الإنسان (شخصيته أو « أنا ») وهم وخدعة لا غير . ثم ان هذه الخدعة إنما تستمد القوة من العمل الذى هو بدوره ينشأ من الرغبة . فالطريق إلى التخلص من هذه الخدعة هو أن يتدرج الإنسان من ترك الرغبة إلى ترك العمل ، لكى يتلاشى حباب ذات الإنسان فى بحر الوجود الكلى . وفناء الذات هذا هو النجاة والغاية من الحياة . فهذه هى فلسفة الحياة التى ظهرت وانتشرت بيننا باسم نظرية وحدة الوجود والتى حوّلت المسلمين من أمة دائبة فى العمل إلى جماد لا حراك به .

وقد عُنى إقبال بتفنيد فلسفة الحياة هذه ، ومعارضتها بضدها أعنى فلسفة « خودى » . وتتلخص هذه الفلسفة الأخيرة فى أن الوجود ليس كلياً يشمل الكون من حيث المجموع ، بل هو فردى يخص جميع الموجودات كلا على حدة ، حتى أن الله أيضاً فرد ، وإن كان متميزاً عن سائر الكون فى طبيعة وجوده الفردى الخاص . فـ« خودى » عبارة عن أسمى صورة للحياة الفردية التى بها تتشكل

شخصية الإنسان ووجوده المستقل . وعلى هذا فالغاية من الحياة الإنسانية هى إثبات « خودى » لا سلب الذات . ويعتقد إقبال أن الإنسان كلما تشبه بذلك الفرد الكامل العزيز الوجود (الذى يطلق عليه « أنا » المطلق أو الله) أصبح هو نفسه منفرداً عزيز الوجود ، وذلك بما يسمى بتقوية « خودى » وإحكامها . و « التشبه بالله » إنما يعنى استمرار الإنسان فى التحلى بصفات الله إلى أن يتم بذلك جذب « أنا المطلق » فى نفسه (نفس الإنسان) . والمحك الذى يكشف عن قوة « خودى » وضعفها هو مدى تغلب الإنسان على الموانع التى تعترض سبيله فى الحياة . ولا يخفى أن أعظم تلك الموانع هى المادة ، ولكن لا يفهم من هذا أن المادة شر يستوجب الابتعاد والنفور منه ، فانها ليست شراً ، إنما هى وسيلة لإيقاظ الهمم وإبراز قوى الإنسان من مكامنها .

واحتناك الموانع والعوائق وتغلب الإنسان عليها يصل بـ «خودى» إلى أن تستطيع الصمود حتى لصدمة الموت ــ الأمر الذى ييسر لها الحصول على الحياة الخالدة . فكل عمل يؤدى إلى تقوية «خودى» خير ، كما أن كل عمل يؤدى إلى إضعافها شر .

ويبين إقبال المراحل المختلفة لارتقاء « خودى » فيقول إن المرحلة الأولى هى (خلق المقاصد) أو (توليد الرغبات) ، فان الرغبات والأمانى هى عين الحياة وأصل القوة من حيث أنها تحرك وتدفع إلى العمل . والمرحلة الثانية لخلق المقاصد هى مرحلة الجهاد المتواصل لتحقيق تلك المقاصد ، والحماس للحصول على المقاصد والسبق

إلى الغايات هو ما يسمى بـ « العشق » فى عرف إقبال . ثم أن هناك ثلاثة شروط للنجاح فى هذا الجهد : أولها الطاعة، أعنى الانقياد التام لأوامر الله ، وذلك يستلزم إنشاء مجتمع على النظام الذى جاء به القرآن . وينتج من الطاعة ضبطُ النفس الذى هو الشرط الثانى للنجاح. وليس المراد بضبط النفس القضاء أو الضغط على الشهوات ، بل مجرد « كظمها » أى تغيير مجراها وتحويل وجهتها بحيث يتم التوازن بينها ، ذلك التوازن الذى يتجلى بأكمل وجه فى الذات الآلهية الجامعة لصفات متضادة متعادلة للغاية .

وإذا تم تطهير الفكر والعمل وتهذيب النفس على النحو الذى تقدم ، وصل الإنسان إلى المقام الذى يسميه إقبال « نيابة الله » . وذلك هو الشرط الثالث . وإنما يعنى إقبال بـ « نيابة الله » القوة التنفيذية التى تتولى إجراء حدود الله (أحكام القرآن) فى العالم . (ولا تعنى نيابة الله الحلول محل الله لأن ذلك يستلزم خلو المحل وانعدام شاغله أولا) .

هذا المقام هو « مقام المؤمن » والمقام الذى يؤكد إقبال أنه يمثل آخر مدى قوة « خودى » واستحكامه . إذا انتهى الإنسان إلى هذا المقام غلب هو على الدنيا ولم تغلب الدنيا عليه ـ الحال التى تسمى فى عرف إقبال « الفقر (حال الدرويش أو القلندر) » وهى عبارة عن تسخير جميع الكون ثم الاستغناء عنه بحيث يكون الإنسان مظهراً لتلك الصفة من صفات الله التى ذكرها بقوله « الصمد » و « غنى عن العالمين » . والجماعة التى تنتظم أفراداً هذه حالهم هى

الأمة المسلمة . وأقصى ما تهدف إليه رسالة إقبال هو البعث الجديد لهذه الأمة التي قيل عنها :

میان امتان والا مقام است / که آن امت دو گیتی را امام است
نیاساید زکار آفرینش / که خواب وخستگی بر وی حرام است

(انها تعلو فوق الأمم لأنها أمة نيطت بها الإمامة في الدنيا والآخرة فهي لا تني عن مواصلة أمور الخلق لأن النوم والتعب محرمان عليها) إشارة إلى قوله تعالى « لاتأخذه سنة ولا نوم » ، « وما مسنا من لغوب »

وقيل عنها أيضاً :

«بباغان عندلیبی خوش صفیری / براغان جره بازی زودگیری
أمیر أو بسلطانی فقیری / فقیر أو به درویش أمیری

(انها في البساتين عندليب حسن التغريد وفي الصحاري باز خفيف سريع الانقضاض ، الأمير فيها فقير على الرغم من كونه سلطاناً كما أن الفقير فيها أمير على الرغم من كونه درويشاً) .

« لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » .

• • •

ومن جد رسالة إقبال أن ظفرت بالصديق المبجل صاحب السعادة الدكتور عبد الوهاب عزام ، وفي يده قلم يشق الصخر ويجرى نهراً من اللبن (١). فأخرجها من ضيق الأردوية إلى بحر العربية ، ونقلها

(١) اشارة الى قصة فرهاد وشيرين . فقد شق فرهاد طريقا في الجبل واجرى فيه اللبن من المراعى كما طلب الملك برويز ليظفر بشيرين .

من ركود الساحل إلى أمواج العباب . تنشر شراعها و تمضى سبيلها .

ومن جدّ الناطقين بالعربية من الأمة الإسلامية ، أن يعرفوا رسالة الحياة ، هذه الرسالة التى كانت بعيدة عنهم بألفاظها على قربها منهم بمعناها .

والله يقدُر لرسالة البعث هذه أن تقع فى ديار العرب بذراً صالحاً ينبت الشجرة الباسقة التى نبتت هناك من قبل ، والتى قيل فى نموّها وبسوقها « أصلها ثابت وفرعها فى السماء » وقيل فى سعتها وامتدادها « لا شرقية ولا غربية » . وإنما ينبت هذا الشجر المبارك ويثمر فى أرض القرآن .

تلك رسالة إقبال ، مفهومها ومنطوقها :

مسلماً إن ترد حيـاة فهيا ما بغير القرن توتى الحياة (١)

غلام أحمد برويز
صاحب معارف القرآن

كراتشى (باكستان)

تفضل بترجمة الجزء الأكبر من كلمة الأستاذ برويز ، حضرة الأستاذ الدكتور محمد يوسف المدرس بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول .

(١) كرتومى خواهى مسلمان زيستن نيست ممكن جز بقرآن زيستن

ضربِ کلیم

فِطرة الحُرِّ لا تُطيق مُقاماً

فألفِ السيرَ دائباً كالنسيم

ألفُ عَينٍ تشقّ صخرَكَ فاضرب

بَعدَ غَوْص فى (الذات) ضربَ الكليم

إلى القارئين

إذا لم تُصِب فى الحياة النظرْ — فليس زجاجُك كُفءَ الحجر [1]
كِفاحٌ شديدٌ ، وضربٌ سديد — فلا ترجُ فى الحرب عَزفَ الوتر
مَعينُ الحياة دماء القلوب — ولحنُ الدِمَا لا المياهِ الفِطَر [2]

(١) انت بالنظر الصائب صلب تطيق الصدام فى الحياة ، وان لم يصب نظرك كنت كالزجاج لاتقوى على الصدام .

(٢) لحن المياه يستخرج من اوان تصف ويوضع فيها الماء مقادير مختلفة على نسب محددة ، ويضرب عليها . وهذه تسمى «جل ترنك» اى لحن الماء . فقال الشاعر ان الفطرة لحن دم لا لحن ماء . يعنى أن انغامها تنبعث من دماء الناس لا من المياه .

تمهيـــد

(١)

يَقْظَـة « الذات » لا أراها بِدَيْرٍ لا ولا تُجتـلَى لدى المِحـرابِ
إن روحَ الشُعوب في الشرق غافٍ من سموم الترياق، رهنُ غيابِ (١)
إن تَضِق بالجهاد في الأرض ذرعاً فحرامٌ مسراكَ فوقَ ، السحاب (٢)
ليس من خيفة الممات نجـاة إن تَرَ (الذات) هيكلاً من تراب (٣)
ليس يَخفى صروفَه الدهرُ لكنْ لك قلبٌ وناظـرٌ في حجـاب
قـد مُنِحتُ الهشيمَ في آسِيـا إذ أنّ ناري حديدة في التهاب (٤)

---

(١) الترياق : الأفيون .

(٢) يقول : ان لم يستطع الانسان المجاهدة على هذه الأرض ، فاشتغاله بالفلك وما وراءه حرام .

(٣) يرى اقبال أن الحياة الخالدة بقوة الذات . فمن حسب ذاته ترابا كالجسم لم يخلص من خشية الموت .

(٤) ناري شديدة الالتهاب فأنا قادر على احراق هشيم آسيا اى أممها التى هى كالهشيم أى ازالة مفاسدها واعدادها للحياة .

(٢)

ذَنبُ إقبالِ البيانُ وإن كان شبيهَ الزمانِ نزرَ الوصال[١]

هاج أنغامُه عكوفاً على الخشخاش مَوْتَى ، إلى طِلابِ المعالى

فهيضُ الجناحِ آلِفُ دارٍ قد رنا اليوم للفضاء العالى[٢]

فَعَداهُ التغريدُ فى الأسحار

وحَنينٌ ومُتعةُ الأبصار[٣]

(١) اقبال قليل المخالطة للناس ولكن بيانه سائر فيهم .

(٢) اقبال دعا الى طلاب المعالى العاكفين على الأفيون حتى طمحت الطير الداجنة كسيرة الجناح الى عنان السماء لتطير .

(٣) دعاء على اقبال بأن يحرم مما يحب من التغريد الخ جزاء ايقاظه الغافلين .

القسم الأول

الإسلام والمسلمون

بسم الله الرحمن الرحيم

الصبح

إنّا لنجهلُ مطلعَ الصبح الذى يُدعى بيومٍ أو غدٍ فى الأزمُنِ
لكنّما الصبحُ الذى ارتجّتْ له ظُلَمُ العوالمِ ، من أذانِ المؤمنِ

لا إله إلا الله (*)

مُسْتَسِرٌ فى الذات معنًى بعيدٌ سرُّه لا إله إلا الله
سيفُ الذاتُ قاطعٌ غير نابٍ شَحذُهُ لا إله إلا الله
عصرنا يبتغى خليلا حطوما وُثْنَه . لا إله إلا الله (١)
إن دنياك مَوثن لا تصدّق زوره . لا إله إلا الله
فى متاع الغرور تسعى وتبغى ربحه ! لا إله إلا الله
يا أسير الخسار والربح ينسى نفسه ! لا إله إلا الله
مالُ دنياك والبنون خداع كله . لا إله إلا الله
هى أصنام واهمٍ قد براها وهمُه . لا إله إلا الله
حبس العقلَ فى مكان و وقت كفرُهُ . لا إله إلا الله
لا زمانٌ ولا مكان فحطّم غلّه . لا إله إلا الله

(*) بنى الشاعر هذه الأبيات على كلمة التوحيد بلفظها العربى فجهدت فى الملاءمة بينها وبين الوزن وجعلتها ردفا وبنيت الروى قبلها على الهاء غير ملتزم حرفا آخر .

(١) الوثن جمع وثن و الموثن مكان الأوثان .

الاستسلام للقــــدر

يقول اقبال فى هــذه الأبيات : ان المسلمين احتجوا بالقــرآن فى القصور عن السعى ، ومن هــذا القرآن نفسه ملك المسلمون الآفاق · وقد ركنوا اليوم الى القــدر وكان عزمهم من قبل قدرا · والحق أن العبودية بدلت النفوس فرأوا حسنا ما كان عندهم قبيحا ·

مِنَ القرآن قد تركوا المساعى ... وبالقرآنِ قد ملكوا الثُرَيّا
إلى (التقدير) رَدُّوا كل سَعْيٍ ... وكان زَماعُهم قَدَراً خفيّا
تبــدّلت الضمائر فى إسارٍ ... فما كرهوه صار لهم رَضِيّا

المعــراج

الذرة التى يملؤها الشوق تعلو على الشمس والقمر ، والدراجة اذا ملأ صدرها الحماس قاتلت الصقر · فانما القوة الحق قوة الروح ، لا شىء يستعصى عليها ·

وذَرَّةٍ طار فيها الشوقُ صاعدةً ... تُغيرُ فى عَرَصات الشمسِ والقمرِ
يا رِفقةَ المَرجِ ! تلقَى الصقرَ مُقدِمَةً ... دُرّاجةٌ تملأ الأنفاسَ من شرَرَ
المسلمُ السهمُ ، والأفلاكُ غايتُه ... سرائرُ الروح فى المعراج فادّكر (١)
جهلتَ (والنجمِ) أسراراً فلا عجب ... ما زال مَدُّك محتاجاً إلى القمر (٢)

(١) يريد أن فى المعراج سر الروح · وهو رمز الى أن المسلم سهم هدفه الفلك ·

(٢) جهلت أسرار الآيات فى أول سورة النجم ، التى يذكر فيها الوحى وتقريب الرسول الى ربه . وليس جهلك عجيبا فان نفسك لم تكمل ولا تزال خاضعة لما يؤثر فيها محتاجة اليه كما يحتاج البحر الى القمر فى مده ·

إلى سيد مصاب بالفلسفة . . . .

لو لم تُولَّ « ذاتك » النسيانا ... لَمْ تحملن زُنّار (بَرْجسانا)(١)
أصداف (هكيلٍ) من الخوالى ... طِلْسَمُهُ جميعه خيالى
فكيف صاحِ تُحكَمُ الحياةُ ... وكيف تجتاز الزمانَ (الذات) ؟
وطَلَبُ الإنسانِ للثبات ... وقصدُه دستور ذى الحياة ؟
يُحوِّل الدجى إلى الإشراق ... أذانُ مؤمنٍ نِدا الآفاق
وإننى فى الأصل سُومَناتى ... إلى مَناةَ سَلَفِى واللات(٢)
وأنت من أولاد هاشمىّ ... وطينتى من نَسْلِ بَرْهَمىّ
فى عَصَبى فلسفةُ الأشياء ... قد مُزِجَتْ بطينتى ومائى
أحاط إقبالٌ بها تفصيلا ... وإن يكن عرفانه قليلا
عاقبةُ العقلِ إلى شَتاتِ ... فلسفةٌ بُعدٌ من الحياة
ونَغْمَةُ الأفكار دونَ صَوت ... لِلذَّة الأعمال حادى الموت
الدين فى حياتنا تقويم ... الدين أحمدٌ وإبراهيمُ
(قلبَك فاربط بالهُدى المحمدىّ ... « أبا علىّ » اتركَنْ يا ابن علىّ
إن تك بالطريق غيرَ دارى ... فالقرشىّ اتبعه لا البخارى)(٣)

---

(١) برجسون فيلسوف فرنسوى ويلفظ اسمه فى الهند بركسان وهيكل فيلسوف ألمانى .
(٢) سومنات معبد كبير فى الهند هدمه السلطان محمود الغزنوى حينما فتح الهند ويشيده الهنادك اليوم . واللات ومناة من أصنام العرب .
(٣) هذان البيتان من شعر الخاقانى فى « تحفة العراقين » وأبو على والبخارى فى البيتين : ابن سينا .

الأرض والسماء

صاحِ عَلَّ الذى رأيْتَ ربيعاً   هو فى أعينٍ خريفُ الزمانِ
سالكَ النهج ! كلَّ حينٍ شئونٌ   لا تفكّر فى الربح والخسرانِ
رُبَّ ما خِلتَه بدنياك أوْجاً   هو أرضٌ لعالَمٍ غابَ ثانِ

اضمحلال المسلمين

إن كان ذا الذهبُ الذى   يَقْضى الحوائجَ فى الدُّنى
فالفقرُ صاحِ مُيَسِّرٌ   ما لا يُيَسِّرُه الغِنَى
شُبّانُ قومى لو تحلَّوْا   بالشجاعة ديدَنا
لم تُلْفَ صَعْلكتى أقلَّ   من الملوك تَصَوُّنا
الأمرُ ليس كما زعمتَ   وقد وصفتَ المؤمنا
فزعمتَ أن طماحه   من قِلَّة المال انثنى
إن كان فى الدنيا بَدا   لى جوهرٌ فيه سَنا
فمن التصعلكِ قد بدا   لا بالخزائن والقُنَى

العلم والعشق

قال لى العلمُ غُروراً: إنما العشقُ جنونْ
قال لى العشقُ مجيباً: إنما العلمُ ظنونْ
لا تكن سوسَ كتاب يا أسيراً للظنون

فمن العشق شُهودٌ
ومن العلم حجابْ

من لهيب العشق ثارتْ ثورةٌ فى الكائناتْ
وشهودُ (الذاتِ) للعشق ، وللعلم الصفات
ومن العشق ثباتٌ وحياةٌ ومَمات

عِلْمنا سُؤْلٌ جلىٌّ
عِشقُنا خافى الجوابْ

معجزاتُ العشق مُلكٌ زانه قفرٌ ودِين
وعبيدُ العشق أدنا هم له عرش مكين
ومن العشق زمانٌ ومكان ومكين (1)

إنما العشق يقينٌ
وبه يفتحُ بابْ

(1) يستعمل كثيرا فى الآداب الاسلامية غير العربية كلمة مكين مع مكان . ويراد بها من يحلّ فى المكان .

أُلفَةُ المنزل فى شرعٍ من الحبِّ حرام
خطَرُ البحر حلال راحةُ السِّرْبِ حرامُ
خفقةُ البرق حلال وَفْرة الحبِّ حرام (١)

عِلمنا نَسْلُ كتابٍ
عِشقنا أُمُّ الكتابْ

اجتهاد

حكمةُ الدين كما قد زعموا عُلِّمَتْ فى الهند من أىِّ طريقٍ ؟
ما بها لذةُ سعىٍ دائبٍ لا ولا فيها من الفكر العميقِ
أين منهم جُرأةُ العقل لدى مَحْفِلٍ يهفو إلى الفكر مَشوق
آه للتقليد والأسر بما ألِفوه وزوالِ التحقيق
بدَّلوا القرآنَ لا أنفسَهم كم فقيهٍ مُبعَدٍ من توفيقِ (٢)
وكفى القرآنَ نقصاً أنه ما هدى المؤمنَ منهاجَ الرقيق (٣)

(١) الحب لايرضى القرار ففى شرعه الفة المنزل حرام ، وحلال ركوب الخطر فى البحر ، وحرام الدعة على البر . وخفقة البرق التى تحرق البيدر حلال ، ووفرة الحب اى الجمع والادخار وحب السلامة حرام. وذكر البرق والبيدر شائع فى الشعر الفارسى والأردى .

(٢) كرر اقبال هذا المعنى فى شعره ، يقول : ان النفوس قد ضعفت فأولت القرآن تأويلا يلائم ضعفها اشفاقا من تكاليفه .

(٣) يعنى ان الذين بدلوا القرآن المذكورين فى البيت السابق لم يجدوا فى القرآن طريقا الى العبودية التى سكنوا اليها فحسبوا القرآن ناقصا .

شكر وشكوى

لك الحمد إنّيَ عبدٌ جهولٌ ولكنْ وُصِلْتُ بسرِّ الغيوبْ
مَنَحْتُ القلوبَ هُيَاماً جديداً أثرتُ البعيدَ به والقريب
ومن حرِّ شَدْوِي يُرى فى الخريف طَروباً بصحبتِيَ العندليب
ولكن خُلِقْتُ بأرضٍ بها نفوسُ العبيد برِقٍّ تطيب

الذكر والفكر

ذانِ للسالك الطَموح مقام نَزَلَتْ فيه «عَلَّمَ الأَسْماء»(1)
ومقام التفكير قولُ ابنِ سينا ومقامُ العطّار بالذّكر ضاء(2)
ولذكرٍ «سبحانَ ربّيَ» والفكرُ يقيسُ الزمانَ والأرجاء(3)

شيخ الحرم

يَخفَى عليكَ مقامُ آدمَ فى الورى فالنفسُ ما نالَ الإلٰه وِصَالُها(4)
ما فى أذانك من صباحي دعوةٌ أو فى الصلاة جمالُها وجلالُها

---

(1) الآية : وعلم آدم الاسماء كلها .
(2) فى الأصل : العطار والرومى أى فريد الدين العطار وجلال الدين الرومى وهما من كبار شعراء الصوفية .
(3) الذكر يتصل بالحقيقة الالاهية ، والفكر فى شغل بقياس الزمان والمكان .
(4) يخفى عليك مقام الانسان ، ولهذا أخلدت الى الأرض فلم تصل الى الله .

القـــدر

يقول اقبال فى هذه الأبيات ان القضاء يبدو غير تابع للمنطق ولعل له منطقا خفيـا . وعلى كل حال نرى حقيقة لاجدال فيها هى ان عين القضاء تنظر الى مساعى الأمم . فتقضى فيها على قدر مساعيها .

ربما يبلغُ اللئـيمُ مُنـاه ويـنالُ الـكريمَ ضيمُ الزمانِ
علَّ فى منطقِ القضاء خفاءً ويُرَى دون منطقٍ فى العيان
عَلِمَ الناسُ ذى الحقيقةَ طُرًّا وجلاها التاريخ كل أوانِ

نحو مسعى الأقوام يرنو القضاءْ
نظرةً كالحسام فيها مَضاءْ

التوحيد

قوّةً كان فى الحياة على الأرض فصار التوحيدُ علمَ الكلام
ردّه فى الفعال غيرَ مضيء جهلُنا اليوم ما لنا من مقام
قائدَ الجيش ! قد رأيتُ غموداً من « هُوَ اللّهُ » مابها من حسام (١)
ما درى الشيخُ أن توحيدَ فكر دون فعلٍ ، يُعَدّ لَغْوَ كلام (٢)
يا إماماً لركعة كيف تدرى فى الورَى ما إمامةُ الأقوام ؟

(١) رأيت غمودا ليس فيها حسام من التوحيد ، وفى الأصل : من « قل هو الله » أى قل هو الله أحد .
(٢) لا يفيد توحيد الأفكار دون توحيد الأفعال ، فان ثمرة وحدة الفكر وحدة العمل .

العلم والدين

العلم وحده عاجز مضل حتى يتصل به القلب ويصاحبه الايمان، ويهديه العشق . فان كان كذلك خلق هو ابراهيمه ليحطم أوثانه التى يصنعها . هذا شأن الحياة لا قديم فيها ولا حديث . والعلم والبصيرة أو العقل والقلب كالطل والنسيم لابد من اشتراكهما فى تربية الزهر .

العلم يخلق إبراهيم موثنَـــــه إذا تراه نديمَ القلب والنظرِ
هذى الحياةُ وهذا الـكون، ما بُدِلا ما مُحدَثٌ وقديمٌ قولُ ذى بصَرِ
ما يُحسِنُ المرجُ تَربيبَ الزهور إذا لم تَشْرَكِ النسماتُ الطَّلَ فى الزَّهَرِ
العلم إن لم يُضِف نجوى الكليم إلى رأىِ الحكيم فما للعلم من قدَرِ

المسلم الهندى

قال البَرَهْمَنُ : خائنٌ أوطـانه والانـكليزُ تقول : هذا مجتدى
ونُبُوَّةُ البَنْجاب قالت : كافر مستمسكٌ بقـديمه لا يهتدى[١]
أيَانَ صوتُ الحَقِّ يعلو هاهنا ؟ ويلٌ لقلبى فى الصِّراع المُجْهِدِ[٢]

---

(١) نبوة البنجاب يقصد بها من ادعى النبوة فى البنجاب .
(٢) هذا الشطر مضمن فى الشعر وقد جاء فى الأصل بلفظ فارسى .

على ذكر الإذن بحمل السيف .

اذن الانكليز للناس بحمل السيوف بعد ان حرم حمل السلاح كله فنظم اقبال هذه الأبيات :

أيها المسلمُ تدْرى اليومَ ما — قيمةُ الفولاذ والعَضْب الذكَر
هو مصراعٌ من البيت الذى — مضمرٌ فيه من التوحيدِ سِرّ
وأرى مصراعه الثانىَ فى — سيفِ فقْرٍ تحتويه كفُّ حُرّ
أنتَ يا مسلمُ — إن تظفر به — خالدٌ أو حيدرٌ يوم المكَرّ (١)

الجهاد . . .

قامت طائفة فى الهند تنكر الجهاد ، تقول ان هذا عصر الدعوة بالقلم لا القتال بالسيف وتدعو المسلمين الى السلم . فيأخذ عليهم اقبال أنهم يدعون المسلمين ولا سلاح فى أيديهم ويتركون الأمم المدججة فى السلاح التى تشن الحرب بين الحين والحين .

الشيخُ أفتى أنه عصرُ القلم — ما السيفُ فيه حاكمٌ بين الأممْ
أما درَى الشيخُ بأن وعظَه — فى مسجدٍ قد صار من لَغْوِ الكلِم؟
فما ترى السلاحَ كفُّ مسلم — بل قلبُه من لذّةِ الموت حُرِم
مَنْ قلبُه يهابُ مَوْتَ كافرٍ — فكيف ميتةَ الشهيدِ يَغْتنِم؟ (٢)
فعلِّمَنْ تَرَكَ الجهادِ طاغياً — مِنْ كفِّهِ يسيلُ فى العالم دَم

(١) يريد خالد بن الوليد وعلى بن ابى طالب .
(٢) يريد بموت كافر الموت فى غير جهاد .

أما ترى الغربَ بدا مُدَجَّجاً ليحفظَ الباطلَ فى عِزٍّ عَمَمْ ؟
يا مُفتياً على الكنيسِ مُشفقاً قد حَارَ فى أحكامه أُولو الفَهَم
الحربُ فى المشرق شرٌّ داهِمٌ والحربُ فى المغرب شرٌّ لا جرَم
إن يَبْتَغِ الحقَّ فكيف حاسب المُسلم لا الفرِنْجَ ذلك الحَكَم ؟

القوة والدين

كم أصَابَ الانسانَ فى هذه الأرضِ من اسْكَنْدَرٍ ومن جَنْكيز
ويقولُ التاريخُ فى كل عصر: خَطَرٌ فَرْطُ قُوَّةٍ لعزيز
هى سيلٌ غُثَاؤه الفَنُّ والعِلمُ وما أَثْلَ الورى من كنوز
وهى سُمٌّ بغير دينٍ . وبالدين دَواءٌ لكل سُمٍّ نَجيز

الفقر (١)

الفقر يمضى بلا سلاح فى حَوْمةِ الحَرب كالرجومِ
وكلُّ ضرب له سديد إن ثار من قلبه السليم
حَماسُه قَصَّ كلَّ عصر قِصَّةَ فرعونَ والكليم
يا غَيرةَ الفقر أنجدينا واهدى إلى نهجِك القويم

---

(١) أنظر الكلام على الفقر فى المقدمة .

عبادةُ الغرب جمعَ مال تَنْخَرُ فى رُوحه السقيم
العشقُ والسُّكر ما أباحا أن أضبِطَ النفسَ فى همومى
فعُقدة الكِمِّ لم تفتَّح الا بموجٍ من النسيم (١)

الاسلام

إنّ نار « الذات » ، والنورُ لديها هى للاسلام رُوح مستنير (٢)
إنّ نار « الذات » ، فاقبس من لظاها فى حياة الخلقِ نورٌ وسُفورْ
هى تقويمُ وجودٍ وهْى أصْلٌ للتجَلِّى أُخفيَتْ خلْفَ سُتور
إن قلَى الغربُ مِنَ الإسلامِ لفظاً فله اسمٌ آخرُ : الفقرُ الغيور (٣)

(١) كم الزهر لا يفتح الا بالنسيم ، وبيان الشاعر وشكواه كالنسيم تفتح بهما نفسه .

(٢) روح الاسلام هى الذات نارها ونورها .

(٣) ان نفر الفرنج من لفظ الاسلام فنحن نسميه اسما آخر فيه حقيقته هو الفقر الغيور (أنظر الفقر فى المقدمة) .

الحياة الأبدية

يؤكد الشاعر فى هذه الأبيات رأيه فى الذات أنها مقصد الحياة وأنها ان قويت واستحكمت لم تمت ٠

صدَفٌ لنا هذه الحياة ، وذاتنا ... كالقطر من نَيسان فى الصدَفات [1]
ما قيمة الصدف الذى لا يستطيع ... يُحيل قَطَراتٍ إلى دُرّات
إن صانت الذاتَ المتينةُ نفسَها ... أعيَتْ على الأيام كلَّ مَمات

السلطان [2]

السلطان الحق هو أحد شئون الفقر ، كما يفسره الشاعر ، فهو تجلى « الذات » ـ ذات الفقير ـ بالتسلط ٠ وليس السلطان طغيانا أو بغيا الخ ٠٠٠

تعلّمْ ؛ فألفُ مقام وشانِ ... لفقر بدا فيه روح القرآنِ
إذا انجلت (الذات) فى قهرها ... فهذا مقامٌ لملك الزمان
وتوزن فى ذا المقام القوَى ... قُوَى مؤمن تُبتلى بامتحان
وإنك فى ذا المقام عظيم ... وظلٌ من الله فى ذا المكان

(١) يقال أن الأصداف تكون على سطح الماء مفتوحة فاذا نزل مطر نيسان تدخل فى كل صدفة قطرة منه فتنطبق عليها حتى تتحول درة. والشاعر يجعل الحياة صدفة ، والذات قطرة من نيسان. ويريد أن تحكم الحياة الذات كما تحيل الصدفة القطرة درة ٠

(٢) كتب فى بهوبال فى رياض منزل (دار السيد راس مسعود) ٠

وما ذاك بغى وقهر ولكن هو العشق والوجْد ملء الجنان
فما يستطاع بقهر وبغى على الأرض حفظُ الورى فى أمان
وأعياك فى الدهر حفظٌ لفقرٍ فأصبحت فى الرقّ خِدنَ الهَوان
وكان على الدين سيما سجود تُبارى الكواكب مِلء العيان
وكان على الشمس منه سَناً فهل فى نجومك منه معانٍ ؟

إلى الصوفى

ترى عيناك دنيا المعجزاتِ وفى عينىّ دنيا الحادثاتِ
ومن دنيا الخيال عجبتَ ، فاعجب لدنيا للحياة وللمات
تبدّ لها بنظرةِ غيرِ واعٍ وكَمْ تدعوك دنيا الممكنات

صريع الفرنج

— ١ —

من تجلِّى الفرنج نلتَ وجودا فهمو منك هيكلا قد أقاموا
ومن (الذات) هيكل التُرْب خالٍ أنت غِمدٌ مذهَّب لا حسام

— ٢ —

ووجود الآله عندك ريبٌ وأرى الريبَ فى وجودك أنتا
إنما الكون جوهر (الذات) يُجلَى فانظرنْ أىَّ جوهر قد دفنتا

التصوف

يقصد الشاعر أن علم الكلام ان لم يصلح الـدين فهو لا شيء ٠ وكذلك الذكر الذى لا يحفظ « الذات » والعقل الذى لا يصـحبه العشق ، والفكر الذى لا يستجيب له القلب ٠

إنّ علم اللاهوت فى ملـكوتٍ ... ليس للدين آسـياً — ليس شيّا

وقيـامُ الأسحار فى طول وَجْـد ... ليس للذات راعيـاً — ليس شيّا

ذلك العقل صاعـــــداً للثريا ... ليس بالوجـد سار ياً — ليس شيّا

ينطق العقل « لا إله » ولكن ... ليس بالقلب مسلماً — ليس[1] شيّا

كلمـاتى خوافق وسَـنا الإصباح ... لم يبـدُ خافقاً — ليس شيّا

الاسلام الهندى

بوحدة الأفـكار تحيـا أمّة ... ودونها الإلهـام يُلْفَى ملحداً[2]

لا تُحفـظ الوحـدة إلا بالقوَى ... لم يُفلح العقـلُ هنا ولا اهتدى

يا عابـداً ليس لديه قـــوّة ... إذهب إلى كهف وسبّح واعبـدا

وهـات إسلاماً به تصـوّف ... إلى الردى والذل واليـأس هدى

للشيخ فى الهنـد أجيزتْ سجدةٌ ... فحَسِبَ الإسلام حُـرّاً سيّداً

---

(١) أى يقول العقل : « لا اله الا الله » الخ ٠

(٢) بغير توحد الأفكار تعم الفوضى ٠ فالالهـام الذى هو سبيل الايمان يصير الحادا ٠

قطعـة (١)

ما القلب مات ، قلبٌ		فـأحِي ذا الرميما
يمحو الفـؤاد داءٍ		فى أم قـديمـا
بحرُكَ فى سُكون		سُـحرٌ أم أنيما ؟
لا وحشَ أو هيـاجاً		أو سـاحلا لطيما
وفى السماء سـرٌ		لستَ بـه عليما
ما هاج طـرفُ نجمٍ		منك فـتى كليما
رمى نشيدُ صبحي		أباءك الهشيما (٢)
شَرارةً أُكِنَّت		فى طينتى قـديما
دُنيـا غدٍ وأمسٍ		يُبصـرها عليما
مَن حاز مثلى عيناً		جـريئة هجوما

الدنيـا

أنا كذلك ابصر دنيا الالوان التى تشبه بوقلمون ، وأعرف الهلال والنجم والسماء والأرض الخ ... ولـكنى أرى أن الانسان وجود حق وما عداه ليس شيئا .

كذا كَم بدا لىَ بُوقَلمـونٍ		وقلّبتُ فى الملكوت النظـرْ
فهذا هلال ، وهـذى نجوم		وهذا عقيق وهـذا حجر

---

(١) عنوان هـذه القطعة فى الأصل (غزل) . والغزل عنـدهم أبيات قليلة تجمع أفكارا مختلفة .

(٢) الأباء القصب . وهـو سريع الاحتراق . ثم القصب يحـرق أحيانا لاخصاب الأرض فالشاعر يعنى انه يحرق الأنفس لتزداد حياة .

وعـــينُ البصيرة أعملتُها		فأوحت إليّ صحيحَ الخـــبر
فهـــذا ترابٌ وتلك سمـــاء		وذلك طَـود وهـــذا نَهَر
ولا أكتم الحق : أنت وجود		ولا شيء ماساح فيـــه البصر

الصلاة

الأصنام لم تنقطع عبادتها ، فلا تزال تظهر بين الناس فى صور مختلفة فتعبـد ضروب العبـادات • فاعلم أن سجود الصلاة الذى يثقل عليك ينجيك من آلاف السجود لهذه الأصنام •

تلـوّنُ فى كل ثوب مَنـاةُ		وشاب بنـو الدهر وهى فتاةُ
فهـذا السجود الذى تجتـويه		به من ألوف السجود نجـاة [1]

الوحى

العقل ظن وتخمين لا تضىء به النفس فلا تنجلى به ظلمـات الحياة • وانما ادراك الحسن والقبيح بالوحى • وهذا لا يتاح الا بأن تجلو الحياة أسرارها بنفسها •

ليس هذا العقـل ذو الوهـــن		حريًا بالإمامـه
فحيـاة الظن والتخمين		ضَـــعف وسَـــقامه
ليس فى فكرك نـــور		أو إلى السعى اســـتقامه
كيف يجـلو فى حيـاة		ذلك الليــــلُ ظلامه ؟
إن لغز الحسن والقبح		ليُعـيي ذا الفهـــامه
حين لا تجـلو الحياة السرّ		منهـــا مســـتهامه

---

(١) تجتويه : تكرهه •

هزيمة

خلا الصوفى من حُرَق وكَدّ ؛ شرابُ (ألستُ) معذِرةُ البطاله[1]
وفرّ إلى ترهّبـه فقيـه يَرى فى الشرع معتركَ البساله[2]
إذا خشى الرجال وغَى حيـاة فتلك هى الهزيمـة لا محاله

العقل والقلب

سيطر العقلُ على الكون أميرا وطوى الأفلاكَ والأرضَ مسيرا
ذا جلالٍ يخضع الكون له غيرَ قلب ثار بالعقـل جسورا

سكر العمل

فى طريق الصوفىّ سُكرُ الحال وطريقُ الفقيـه سُكرُ المقال
ونشيد الشِعْر المرجّـع مَيْت خامدُ اللحن لم يُشَب بجَمال
بين نوم ويقظـةٍ غيرُ صاح بَين سُكر الأفكار والبَلبـال
وبنفسى مجاهـدٌ لا أراه ! فيه سكر الأعمـال لا الأقوال

---

(١) يوم الست أو عهد « الست » اشارة الى الآية : الست بربكم . فالصوفى فى سكر بذكرى الست يتعلل به ويعتذر لبطالته .

(٢) لما رأى الفقيه أن الشرع جهاد وكفاح فر الى الترهب .

القبر

فكرة الشاعر ان النفس القوية المجاهدة لا تسكن فى الحياة ولا بعد الموت . والقلندر او القلندرى الحر الذى لا يركن الى سكون ، ولا تقيده رغبة او رهبة (راجع المقدمة) .

لا يجد القلندرىّ راحة وإن ثوى بقبره تحت الثرى
سكينةُ الأفلاك فى الضريح لا فساحةُ الأفلاك أو طولُ السُرى

همة القلندر

يقول للزمان ذلك الفتى : امض إلى حيثُ يسير المؤمنُ
مالك فى معتركى مِن طاقة حذارِ من قلندر لا يُذعن
إذا طغى اليمّ فهيّا أقدمِنْ ما حاجتى مَلّاحه والسُفُن
لقد محا سحرَك تكبيرى فهل تَقْوى على جحوده ياوَهِن ؟

يحاسب الأفلاكَ ذا القلندرُ
وقاهرٌ أيامَه لا يُقهر

الفلسفة

ليس يَخفى على القلَنْدر فكرٌ ساوَر النشء ظاهراً أو خفيّا[1]
أنا عندى بكل حالِكَ خُبرٌ فبهذا الطريق سرتُ مليّا

---

(١) القلندر هنا اقبال نفسه .

لا يقيم الحكيمُ فى شَرَكِ اللفظ ولا بالحروف كان حفيّا
ليس همُّ الغوّاص أصدافَ بحرٍ يبتغى الغائصون دُرّا بهيّا
إن فى حلقــة المجانين عقلاً فى شَرار يرى لهيباً مضيّا[1]
إن أغلى من الجواهر، معنى صــدّق القلبُ سرّه مطويا
فلسفاتٌ ما سطّرت بدم القلب مَــوَاتٌ أو للمات تُهيّـا

رجال الله

إنمـا الحرّ من يُجيد ضِرابا لا الذى حربُه تدور هُــراءُ
وسجايا الأحرار تجمع تاجـاً ذا ســناء، وخرقةً وقَباء[2]
من خفايا تُرابهم أخـذ الدهرُ شَراراً فصــاغ منه ذُكاء
فِطْرة حرّة تعــاف الدنايا من طَواف الأصنام عاشت بَراء
أنت فى الـكفر والتديّن جَمْعـا وثنِيّ تقــدّس الأهـواء[3]

---

(١) بين الذين يعدون مجانين من أصحاب القلوب الحية من يرى الحقائق الكبيرة فى مظاهر صغيرة فيرى فى الشرارة لهيبا عظيما .

(٢) سجية الحر فيها عظمة الملك وفيها خلق الصوفية لابسى الخرقة، وفيها فقه العلماء لابسى القباء .

(٣) الأحرار منزهون عن عبادة الأصنام وأنت فى ايمانك وكفرك لا تخلو من عبادتها .

الكافر والمؤمن

يكرر الشاعر هذا المعنى كثيرا : ان المؤمن مسيطر على الكون يتصرف فيه ، لا يضل فيه ولا يحار ، فهو سائر على قانون يرفعه على الأحداث والغير ، وأن غيره مقهور فى الكون حائر ، تتلقفه أحداثه ، وتقلبه غيره ٠

والفكرة مأخوذة من مثنوى جلال الدين الرومى ٠ فقد قص المثنوى قصة افتقاد حليمة الرسول فى طفولته وطلبها أياه والهة ، وأن جبريل لقيها فقال لها : لا تخشى عليه ان يتيه فى الآفاق ، فهذه الآفاق تتيه فيه :

أمسِ عند البحر قال ... الخضر لى قولا أعيه[1]
تبتغى الترياق من سمٍّ ... فرنج تتقيه ؟
فخُذن قولا سديدا ... هو بالسيف شبيه
ذا مضاء وضياء ... خبرةُ الصيقل فيه :
إنما الكافر حيرانُ ... له الآفاق تيه
وأرى المؤمن كوناً ... تاهت الآفاق فيه

---

(١) يروى أن الخضر صاحب اسكندر حتى بلغا أرض الظلمات وفيها عين الحياة فشرب منها الخضر فخلد ولم يهتد اليها اسكندر ٠ فينسب الشعراء الى الخضر المعرفة والحكمة ، ويقولون عنه ما يشاءون ٠

المهديّ الحق

كلٌّ ثوى فى مَحبِس من صُنعه : سيَّارُ إفرنج وثابتُ مشرقِ [1]
والشيخ فى حَرم وحَبر كنيسة لا جِدَّة فى القول أو فى المنطق
أهلُ السياسة فى شِراك قديمهم والشعرُ أفلس فى خَيال مُغلق
مَن لى بمهديٍّ له نظر يزلزل عالمَ الأفكار ، غيرَ مُمخرِقِ

المؤمن

— ١ —

فى الدنيا

مع الصحب لَيْن كمسِّ الحرير بَعيدٌ من المَحْكِ ، المؤمنُ [2]
حديدٌ إذا ما طغى باطل جرىء لدى المَعْرَك ، المؤمن
من الطين، لكن على الطين يسمو و يأبى على الفلك ، المؤمن
وما همُّه صيدُ طير ولكن يَصيد من المَلَك ، المؤمن

---

(١) الفرنجي الدائب فى العمل كالكوكب السيار ، والشرقى القاعد عن السير كالكوكب الثابت ٠

(٢) القافية مردوفة بكلمة « المؤمن » والروى الكاف التى قبلها ٠

— ٢ —

فى الجنة

تقول الملائك فى غبطة: حَبيبٌ إلى قلبنا ، المؤمن
وللحور شكوى إلى ربها: سريعٌ إلى هجرنا ، المؤمن

محمد على الباب

ناقش جماعة من العلماء فى ايران محمد على المسمى الباب ، فقرأ من القرآن فلحن فى اعراب السماوات • فضحك الحاضرون فقال : ان بشرى أمامتى تحرير الآيات من الاعراب •

أجاب (البابُ) فى حفل مفيضا فى مقالاتِ
وفات الشيخَ توفيقٌ بإعراب (السماوات)
سرَتْ فى الحَفْل غلطتُه فلاقوه ببسمات
فقال (الباب) : لم تدروا وفاتتكم مقاماتى
نوى القرآنُ بالإعراب فى حبس وإعنات
وإن إمامتى جاءت بتحريرٍ لآيات

القدر [1]

الخالق وإبليس

إبليس : يا إلهاً أمره كن ليس عنه من محيدْ
لم يُصَب آدمُ منى بعدوّ أو حسود
ويل غرٍّ ، من زمان ومكان فى حدود
كيف أستكبر عن أمرك أو كيف أحيدْ
كان فى علمك أنى حائد عن ذا السجود

الخالق : هل عرفت السر هذا قبلَ أو بعدَ الجحودْ ؟
إبليس : بعدُ ! يا مَن مِن تجلّيه كمالاتُ الوجود

الخالق (ناظراً إلى الملائكة)

خسّةُ الفطرة فيه علمته ذاك عذرا
قال: ما شئتَ سجودى أنا لا أملك أمرا
ذلك الظالم سمّى إختياراً فيه جبرا
إنه سمّى رماداً شُعلة فيه وجمرا

---

(١) مأخوذة عن محيى الدين بن عربى .

أى روح محمد !

يصف الشاعر فى هذه الأبيات غمه وحيرته . فالأمة الاسلامية انفرط عقدها ، وفى صدره موج ولكن بحر العرب الذين ماجت بهم أحداث التاريخ ليس فيه هياج اليوم فيخلط به هذا الموج . وهو حاد ولكن لا زاد له ولا قافلة يحدوها . وأمامه فياف هائلة . وهو حفيظ على آيات الله يبتغى أن يسير بها . فهو يلتمس سبيله فى هذا العالم ويسأل روح الرسول اين يذهب .

أرى الملة البيضاء بُدِّد نظمُها … فمسلمك انظر حاله ، أين يذهب؟
وليس ببحر العُرب لَذَّة ثَورة … وفى الصدر موج غاله ، أيْن يذهب؟
ولا ركبَ للحادى ولا زادَ عنده … وقطعُ الفيافى هاله ، أين يذهب؟
فبيّن لنا الأسرار روح محمد ! … حفيظٌ لآيٍ ، ياله ، أيْن يذهب؟

مدنية الإسلام

الجنون هنا معناه الحماس للعمل والاقدام فى غير مبالاة . فحياة المسلم فى رأى الشاعر تجمع العقل والاقدام . وهى كالشمس تغرب لتطلع . وهى فذة لا نظير لها ولكنها كالزمان فى شئون متعددة . وهى قائمة على الحقائق وجامعة عناصر الجمال والقوة .

حياةَ المسلم اعرف فى بيانى … كمالُ العقل فيها والجنونُ
سناً كالصبح مَغرِبه طُلوعٌ … وحيدٌ ، كالزمان له شئون
ولا كالعصر ، خِلوٌ من حَياء … ولا فيها من الماضى فُتون

حياةٌ بالحقـــائق فى قَرار		وليستْ ما يُطلسِم أفلطون [1]
عناصرُها يؤلفهُــا جَمـال		تمثّل فيــه جبريل الأمين
وحسنُ الخَلق من عُجْم لديها		ونارُ العُرب فيهـا والشجون

الإمامة

يقصد اقبال من ادعوا الامامة فى الماضى وفى عصره . ويرى أن الامام من يعلو بأصحابه عن قيود الحاضر المشهود الى عالم المعنى الفسيح غير المحدود الخ .

أتسألنى : الإمامةُ ما مَداها ؟		حبـاكَ الله مثـــلى بالخفايا
إمامُ العصر حقًا من تراه		فتسأمُ ما تشاهـد فى البرايا
بمرآة الممات يريك وجه ا		حبيب فتجتوى عيش الدنايا
ويُشعركَ التخلفَ عن كمال		فينفخُ فيك مشبوبَ السجايا [2]
يُمِرُّ عليك من فقـرٍ مِسنًا		فيطبعُ منكَ سيفاً للمنـايا
فُتون الملّة البيضــا إمام		كأن المسلمين به سـبايا [3]

(١) ليست قائمة على أفكار أفلاطون التى ترى الحقـائق فى عالم المثل لا على هذه الأرض .

(٢) يشعرك ما فيك من نقص وما فاتك من كمال .

(٣) فتنة الملة الاسلامية إمام يمكن أصحاب السلطان من اذلال المسلمين .

الفقر والترهب

يشيد اقبال بالفقر ، وينسب اليه المعجزات • وهو فيما يؤخذ من كلامه ـ التحرر من الطمع والحرص ، والا يملك الانسان ما يملكه فيذله ويصده عن الحق والخير • وهو لا يشبه الرهبانية فى شيء • فمن حسب الفقر رهبانية فاسلامه غير الاسلام الذى يعرفه الشاعر •

إسلامكَ الموهومُ شيء آخر؛ · الفقر عندك كالترهّب يظهر
شتَّانَ، فانظر، بين خَلوة راهب · وشِراع فقر فى عُباب يمخر
فى الروح والأبدان يبغى جلوةً · فنهاية الايمان (ذاتٌ) تبهر (١)
هو صيرفىّ الكائنات وجوده · فعن الفناء أو البقاء يخبّر (٢)
فاسأله عما ترتئيه أعالمَ · أم موج رائحة ولون يزخر؟
لما أضاع المسلمون على المدى · ذا الفقر — لماضاع هذا الجوهر
لم يبق فيهم من سليمانٍ ولا · سلمانَ دولةُ عِزَّة لا تقهر

قطعة (٣)

متاعُك فى الحياة فنونُ علم · تظَلّ الدهرَ منها فى حُبور
وما عندى متاع غيرَ قلب · طموحٍ ما أراه بالصبور

(١) الضمير فى « يبغى » يرجع الى الفقر ، وهو يطلب تجلى الروح والجسم • وتجلى الذات هو مقصد الايمان •
(٢) هذا الفقر ينقد الكائنات فيقول هذا للفناء وهذا للبقاء ، وهذا حق وهذا باطل •
(٣) عنوان هذه القطعة فى الأصل « غزل » والغزل فى عرف شعراء الفرس ومن تقيلهم ، أبيات قليلة فى موضوع أو موضوعات • وربما لا تشتمل على شيء مما يسمى بالغزل فى الشعر العربى •

لأهل الفكر معجزة تجلّت بفلسفةٍ معقّدة السطور
وأهلُ الذكر شادوا معجزاتٍ على موسَى وفرعونٍ وطور (١)
أقول لمسلم : ما فيك صدر لأنفاس بها حَرّ النشور
ومزقتُ الجيوبَ وأنت خالٍ جُنونى ـ لا ألومك ـ فى قصور (٢)
أقلّ القولَ وافتح عين قلب ولا تكُ مهذراً عند البصير
وما إن ذلّ قوم قد أعدّوا حَماس العشق والفقرِ الغيور

التسليم والرضا

على كل غصن تبيّن أن النبات مَشوقٌ لرحب الفضاء
ثما قرّ فى ظلمة الترب حَبّ . جُنونُ النشوء به والنماء
فلا تبغِ فى فِطرة تركَ سعيٍ فما ذاك معنى الرضا بالقضاء
لأهل النماء فضاء فسيحُ
وما ضاقَ مُلك الإله ، فسيحوا

---

(١) يقصد بموسى وفرعون كل من له صفات موسى أو صفات فرعون فلهذا نكرت الاسمين وصرفتهما .

(٢) يعنى انى لم أصبك مثلى مجنونا لأن جنونى لم يكمل فلم يؤثر فيك فاللوم على لا عليك .

نكتة التوحيد

بنى الشاعر هذه القطعة على القافية المردوفة فحاكيته فى الترجمة . والروى حرف النون فى موثنا ومطعنا الخ ...

إن سر التوحيد طوع بيانى
شِدتَ فى الرأس موثنا ، ما احتيالى ؟[1]
رمز شوق بلا إله خفىّ
ليس فى الفقه بيّنا ، ما احتيالى ؟
كم سرور فى حرب حق وزور
لستَ فى الحرب مِطعنا ، ما احتيالى ؟[2]
كم تُجلّى الآفاقَ نظرةُ حرّ
حجب الرقّ أعينا ، ما احتيالى ؟
أىّ مُلكٍ مَقامُ فقر ! ولكن
تؤثر الذلّ مُذعناً ، ما احتيالى ؟

الإلهام والحرية

إن للحُرّ ملهما نظراتٍ ... تحفِزُ القولَ والفِعالَ بنار
حَرُّ أنفاسه يَشيع بروض ... فترى الروض مُزهِراً من شَرار

(١) يمكن أن يبين سر التوحيد ، ولكن ما حيلتى وقد بنيت فى رأسك معبدا للأوثان . وقد وضعت كلمتى مصنم وموثن لمكان الصنم والوثن ، ترجمة لكلمتى بت كده ، بتخانه ونحوهما .

(٢) كم سرور فى مجاهدة الباطل بالحق فى هذه الحياة .

يَهبُ العنـدليبَ سِيرةَ بازٍ — كيف حالت طبائعُ الأطيار؟
يَمنحُ المجتـدين شوكةَ جمّ — عارفُ النفس والهُ الأسحار[1]
ووقى الله حكمـةً لذليـل — مثـل جنكيز طالعٍ بالدّمار[2]

الروح والجسم

يقول اقبال فى هذه الأبيات ان همى فى هذه الحياة القلق والثورة والسرور والحزن . وأنت شغلت نفسك بهذه الأسئلة ولم تشعر بحقيقة الحياة .

تحيّر النـاس فى ذا اللغز من قدم : — ما جوهر الروح أو ما جوهر البدن؟
ومشكلى فى اضطراب بى وفى تَمَلٍ — وثورة وسرورِ النفس والحـزن
ومشكلٌ لك أن الخمر من قدح — أو أنّ من خمرة كأساً، لذى زَكَن[3]
ما اللفظ والمعنى؟ وكيف الروح فى بدن؟ — جمـرٌ بدا فى رَمادٍ منـه للفطنِ

لاهور وكراجى

روى أن هندوكيا فى لاهور اسمه راجبال أساء الأدب فى الحديث عن الرسول صلوات الله عليه فذهب اليه مسلم اسمه علم الدين وقتله فى غير ضوضاء ، وان رجلا من الهنادك فى كراجى فعل فعله فذهب اليه مسلم من كوهات فى غير مشاورة ولا مؤامرة فقتله . وأراد المسلمون أن يؤدوا دية القتيلين وينجوا القاتلين من العقاب فكتب اقبال الأبيات :

قـد تولى اللهَ عبدٌ — مسلم مـا آمرا
هـو بالمـوت إلى عا — لَم روحٍ سـافرا

(١) جم : جمشيد أحد ملوك الفرس فى الأساطير .
(٢) يريد أن حكمة الذليل تدمر الأمم كغارات جنكيز .
(٣) الزكن : الفطنة .

كيف تَفْدون شهيداً   لخـــلود آثرا
دَمُه من حَرَم أعلى   وأغـــلى جوهـــرا[1]
آه للمسلم غفـــلانَ   نَسِـــيًا ما درى :
سرَّ « لا تدع مع الله   إلهـاً آخـــرا »[2]

النبـــوّة

يعنى الشاعر بهذه الأبيات من ادعى النبوة ودعا الى المسالمة والكف عن الجهاد .

لستُ المحدِّثَ والفقيهَ   ولا الولىّ ولا المجـدِّد
لا علم عنـــدى بالنبوّة   كيف توصف أو تحدَّد
لكن إلى الإسلام فى الأيام   لى نظـــر مسـدد
أوحى إلىّ بسرّه الفلكُ   المحيط فلا أفنَّـــد
فرأيت فى ظلمـات هـــذا العصر ذا الحق المؤيَّد:
عندى حشيش المسلمين   نبوّةٌ فيهم تجــدَّد
ما إن لديها دعوة   للبأس والمجـد المخلَّد

(١) يعنى أن كل ما تبذلون لا يساوى دم الشهيد الخ ..
(٢) الآية : (فلا تدع مع الله إلهاً آخـر فتكون من المعـــذبين) سورة الشعراء .

الإنسان

ذا طِلَسْمُ الكَوْن والعدمِ ... سُمّىَ الإنسانَ من قِدَم
هو سِرّ الله جلّ فلا ... يحتويه الوصفُ فى كَلِم
إن هذا الدهرَ من أزلٍ ... من سِفارٍ باء بالسَّقَم
ومضى الانسانُ سيرته ... لم يُصَبْ بالضعف والهَرَم
وإليك السرّ أُعلِنه ... إن تَسَعْه غيرَ متّهِم:
ما بدا روحاً ولا بدنا ... ذلك الانسان للفهَم

مكة وجنيوا

كم حديثٍ عن الشعوب سمعنا ... وحدةُ الناس حجّبت عن عيانِ
حكمةُ الغرب فُرقة الناس والاسـ ... ـلام فيه توحُّدُ العُمرانْ
ومقالٍ من مكةٍ لجنيوا ... قد وعاه اللبيب فى كل آن :
خبِّريني اليقين : هل عصبة الأقـ ... ـوام خير أو عصبة الإنسان ؟

يا شيخ الحرم

ودّعِ الخلوةَ يا شيخ الحرم ... واسمعنْ فى الفجر منّى ذا النغَم
يحفظ الله لك الفتيانَ فى ... حُكمِ نفسٍ، واشتعالٍ فى الهمم
هُمْ عن الغرب زجاجاً أخذوا ... علّمتهم صدمة الصخر الأصم

طولُ ذلّ أظلم القلبُ به أدرِكِ الحيرانَ فى هذى الظُلَمْ
فى جنوني منك أسرار بدت فاجْزِنِي يا شيخ عن هذا اللمم[1]

المهدى

كتب سبنجلر يقول ان ضعف المسلمين من ايمانهم بالقدر والمهدى ٠ فرد اقبال بأن هاتين العقيدتين غريبتان عن الاسلام ٠ وكتب مولانا أسلم جرا جبورى يأخذ على اقبال انه يذكر المهدى فى شعره أحيانا ٠ فكتب أقبال هذه الأبيات يبين رأيه فى عقيدة المهدى ويذكر أنه يتوسل بها أحيانا الى نفخ الحياة فى موتى الأحياء ٠

أرى الأقوام تمضى فى حياة على قدر التخيّل فى الحياة
فمجذوب الفرنج على خيال من المهدى قاد إلى النجاة[2]
فان تنفر من المهدى ينفر غزال المسك من هذى الفلاة[3]
إذا ما الحيّ من جهل تردّى بأكفان وأغرق فى سُبات
أنُسلِمُ ذا الجهولَ إلى الردى أم تمزِّق عنه أثوابَ الممات؟

---

(١) يعنى أن نشوته وولهه وقد عبر عنهما بالجنون أدركا أسرار شيخ الحرم فأفشياها فهو يسأل الشيخ أن يكافئه عن هذا الجنون ٠

(٢) يعنى الفيلسوف الألمانى نيتشه الذى تكلم عن الانسان الكامل ٠

(٣) يعنى أن هذه الفكرة تعطر بها النفوس المقفرة وتحمل ما يحمله غزال المسك فى الفلاة فلا تحرم الناس منها ٠

المؤمن

إن للمؤمن العجيب الشانِ كل حين جديدَ شانٍ وآنِ
هو فى قوله السديد وفى الفعل على الله واضحُ البرهانِ
فيه قدسيةٌ إلى جبروتٍ ومن القهر فيه والغفران
إن تؤلَّف هذى العناصرُ كان المسلمُ المستعلى على الحِدْثان
هو تُربٌ سما يجاور جبريل ويأبى الحلول فى الأوطان
لست تدرى بسرّه فتراه قارئاً وهو صورة القرآن
فيه عزم على القضاء دليل وهو فى العالَمين كالميزان(١)
هو بَرد الندى بقلب شقيقٍ وبقلب البحار كالطوفان(٢)
ليله والنهار لحن حياة فى انسجام كسورةِ الرحمن
إن فكرى مطالع لنجوم نجمك اعرف طلوعه فى بيانى(٣)

(١) يقول اقبال فى مواضع كثيرة إن عزم المؤمن من القدر أو هو مشير على القضاء والقدر وان رأيه وعمله ميزان الصلاح والفساد فى الحياة · وهنا يقول إنه ميزان الأعمال فى الدارين الدنيا والآخرة ·

(٢) هو تارة كالندى يبرد قلب الشقائق ، وتارة كالموج الهائج فى البحر ··

(٣) يقول ايها الباحث عن مستقبله فى طوالع النجوم هلم أدلك على أسباب السعادة ، فان فكرى يطلع نجوما صادقة تدل على السعد والنحس ·

المسلم البنجابى

عرف أهل البنجاب بكثرة النحل والدعوات المبتدعة ·

مجدِّد فى كل حين مذهباً ... يحلّ فى مرحلة ليركبا
فى حلبة التحقيق نِكسٌ وإذا ... قامره داع غوىّ غُلِبا
حبالة التأويل إن تُنصَب له ... هوى من العشّ إليها مُعجَبا

الحرية

ينعى إقبال فى هذه الأبيات على من يدعون الحرية حين يتحدثون فى الإسلام وحضارته فاذا عرضت أوربا وحضارتها خنعوا لها فكرا وفعلا ·

ألا من يطيق اليوم نُصحاً لمسلم ... وحريةُ الأفكار من ربّه أمر
من الكعبة اجعل بيت نار وإن تشأ ... فوثَن أفرنج به الزور والسحر
وإن شئت فالقرآن تأويلُ لاعب ... نجدِّد لنا شرعا يلائمه العصر
رأيتُ بأرض الهند أىّ عجيبة ... فإسلامها عبد ومسلمها حرّ

نشر الإسلام فى بلاد الافرنج

هذى الحضارةُ ما تدِنّ قلبها ... فأخوّة الإفرنج بالعصَبات
فلئن تنصّر برهمىٌّ لم يزَل ... للانكليز إليه نظرةُ عات
ولوانّهم قد أسلموا لم يرفُقوا ... بالمسلم المنكود من إعنات (١)

(١) لو أن الانكليز أسلموا لم يحسنوا معاملة المسلم ·

لا و إلا

يرى اقبال أن الحياة محو واثبات أو هدم وبناء . فالأمة الصالحة تمحو السيىء وتثبت الحسن . وكلمة التوحيد قائمة على نفى غير الله واثبات الله . فان محت الأمة ولم تثبت أو هدمت ولم تبن فعاقبتها الفناء. وهو يعنى هنا حضارة أوربا عامة والروس الشيوعيين خاصة .

لو لم تسِر فى ظلام التُرب نابتةٌ ... ما نشَرت فى فضاء النور أغصانا
تقضى الحياة بـ « لا » فى البدء نافية ... وفى النهاية « إلا » تُكمل الشانا
إن لم تجىء بعدها « إلا » مثبّتة ... كانت على الموت « لا » فى الدهر عنوانا
إن أمة روحها لم يمض معتزماً ... عن « لا » فقد آذنت بالهُلْك إيذانا

إلى أمراء العرب . . .

العرب هم الأمة التى حملت الى الأمم رسالة الاسلام وعلمتها الاخوة والتعاون . والشاعر ينعى على أمراء العرب أن نسوا هذه الرسالة التى بلغوها وكانوا أحق بها وأهلها .

هل يُسْعدُ الكافرَ الهندىَّ منطقهُ ... مخاطباً أمراءَ العُرْب فى أدبِ
مَن أمّة قبل كل الناس قد أخذتْ ... بحكمة فأعانتها على النُوَب :
إخاء مصطفوىّ دون تفرقة ... وهجرُ كلّ غوىّ من أبى لهب
ما من حدودٍ وأرضٍ كان منشؤُها ... من أحمدِ العُربِ كانت أمةُ العرب

الأحكام الإلهية

اقبال يؤمن بحرية الارادة ، وينفر كل النفور من الاعتقاد بالجبر والاستسلام للأحداث . وفى هذه الأبيات يقول إن الجماد والنبات خاضع لقوانين لا يحيد عنها وأما المسلم فهو خاضع لأحكام الله لا لقوانين طبيعية تسيره مجبرا . وهذه الفكرة تلقى قارىء شعره فى مواضع كثيرة .

قيدَ القضاء تَرى أم قيدَ أحكام   ما أعجزتْ هـذه أربابَ أفهام
فى كل حين ترى التقديرَ فى غِيَرٍ   رهينُهـا بين لذّات وآلام[1]
إن النبات وإن الجامدات لها   من القضاء قيودٌ ذاتُ إحكام
والمؤمن الحر لا شئ يقيّده   لكنْ لخالقه فى قيد أحكام

المـوت

يرى الشاعر أن القلب الحى لا يموت فهو حى بعد الموت طموح طلعة لا يرضى بالسكون والقرار . وانما حياة القلب فى رأيه بقوة الذات (خودى) . والموت لا ينال الذات حين ينال الجسم .

فى اللحـد أيضاً يبقى   الغيـابُ والحضور
إن يك قلبٌ حيًّا   فالقلب لا صبور
هذى النجوم تمضى   كشَرَرٍ يطير

---

(١) عالم الطبيعة والحادثات فى تغير مستمر فمن خضع له تداولته اللذات والآلام .

والذاتُ فيهــا راخٌ　　في أبد سُــــرور

إن مسَّ جسما مــوتٌ　　واحتجب الظهــور

فللوجــود قُطب　　مَنَــاله عسير

قم بإذن الله

في هذه الأبيات يبشر اقبال بالمستقبل الوضاء على رغم الخطوب ويقول تغيرت الدنيـا ولكن الأرض والسماء كما كانتا . وكلمة « قم باذن الله » مكررة بلفظها في الأصل .

إن تحُل دنيـا فلم تَفْنَ أرضٌ　　وسمـــاء ، قم بإذن اللهِ

مِنْ «أنا الحقُّ» انطوى فيك قلب　　ومَضـــاء ، قم بإذن الله(١)

لا تُرَعْ ممـــا ترى ؛ لفـرنجٍ　　ســيمياء ، قم بإذن الله(٢)

---

(١) يرمز الى قصة الحلاج الصوفى الذى قال أنا الحق . يقول للمسلم: فيك روح تنتسب الى الأرواح العظيمة .

(٢) لا يرعك ما يحيـط بك من فتن الأفرنج فهى سـيمياء لا حقيقة لها .

القسم الثاني

التعليم والتربية

المقصود[1]

يبين هنا الشاعر رأى اسبنوزا الفيلسوف ورأى أفلاطون ورأيه هو فى المقصود من هذه الحياة .

سبنوزا :

يبصر العاقل الحياةَ وليست ... غيرَ نور وجلوة تُستَحبُّ

أفلاطون :

يبصر الموتَ عاقلٌ . فحياة ... كشرار بجنح ليل يشبّ

ما إلى الموت والحياة التفات ... مقصدُ الذات رؤية الذاتِ حَسبُ[2]

إنسان هذا العصر

حُرم العشقَ وللعقل به ... نكزات كشجاع يثأر[3]

تبعَ العقلَ شروداً سادراً ... ما هدى العقلَ لديه بصر

لم يسافرْ فى دُنَى أفكاره ... وعلى الأفلاك دام السفر

هو من حكمته فى شَرَكٍ ... غابَ عنه نفعُه والضررُ

مَن شُعاع الشمس فى قبضته ... ما به ليلُ حياة يُسفِر!

---

(١) كتبت فى بهوبال فى رياض منزل (دار السيد راس مسعود)

(٢) هذا رأى اقبال .

(٣) النكزة عضة الحية . والشجاع نوع من الحيات .

أمم الشرق

كيف تُجلى حقائقٌ لعيون عَميتْ بالخضوع والتقليـــــدِ
كيف يُحيي الفرنجُ عُرْباً وفُرْساً بفنونٍ تسير نحو اللحود

التنبه

في هذه الأبيات ينعى اقبال أيضا على الانسان اهتمامه بعالم الطبيعة واهماله نفسه · ويقول ان تقوية الذات وتقديرها يعين الانسان على الحادثات ويبصره الجميل والقبيح في البصيرة ، والحلال والحرام ، حلال القلب وحرامه (استفت قلبك وان افتاك المفتون) ·

نظر المنجّم في حِباكِ نجومه لكنْ مَقامُ الذات عنه يُستَر
مَن يَدرِ أن الذات أرفع منزلا عَرف الزمان وصرفه لا يُقهَر (١)
وجميلَ أنظار يرى وقبيحها وحلالَ قلب والمحرّم يُبصِر

مصلحو الشرق

يأخذ الشاعر على مصلحي الشرق أنهم لم يخرجوا للناس شيئا وانهم لم يستمسكوا بالسنن الصالحة القديمة ولا أخذوا بالسنن الحديثة ·

يَئستُ فلا أرجّي في أناس لهم فنّ كفنّ السامريّ (٢)
سُقاةٌ في رُبوع الشرق طافوا على الندماء بالقدح الخليّ
سحابٌ ما حوى برقاً قديماً وليس لديه من برقٍ فتيّ

---

(١) ارفع منزلا من الفلك ·

(٢) السامري الذى صنع لقوم موسى عجلا من الذهب ودعاهم الى عبادته ، فنه سحر وضلال ·

الحضارة الغربية

أرى تثقيفَ إفرنج فسادَ القلب والنظر
فَروح حضارة لهمُ خلت من عفة الوطر
إذا ما الروح جانبها جمالُ الصفو والطُهُر
فأين جمالُ وجدانٍ ولطفُ الذوقِ والفِكَر

أسرار ظاهرة

قال موسوليني لاقبال حين لقيه : من ملك الحديد ملك كل شيء ·
فأجاب أقبال : من كان هو حديدا فهو كل شيء · وقد ضمن هذا المعنى البيت الأول من الأبيات التالية ·

ما بهم حاجةٌ إلى السيف قومٌ من حديد يُصاغُ فيهم شبابُ
أين منكَ الأفلاكُ ؟ إنك حُرٌ وهى قَهْرٌ ذهابها والأياب
ما اصطخاب الأمواج ؟ لذةُ سعى واللآلى يصوغها الوهاب
ليس يَهوى الشاهينُ من طول خفقٍ يا أخا العزم لا ينلك التراب

وصية السلطان تيبو

السلطان تيبو كان من ملوك المسلمين فى ميسور جنوبى الهند . وقد حارب الانكليز زمنا طويلا وحاول أن يؤلب عليهم دولا اسلامية ويتفق مع نابليون ، وكان فى مصر حينئذ . فجمع له الانكليز ما استطاعوا . فلما يئس من النصر ألقى بنفسه من قلعة فمات سنة ١٢١٣ هـ .

وهو عند اقبال ممن تتجلى فيهم (الذاتية) فقد جعل هذه الوصية على لسانه .

وفى هذه الأبيات أصول من فلسفة اقبال :

يدعو الى السير الدائب وهجر المحمل ولو فى صحبة ليلى ، والى المضى والتقدم والنماء ، فهو يدعو جدول الماء أن يسير حتى يصير نهرا ، والى السيطرة على هذا الكون والعلو عليه حتى لا يضل الانسان فيه ، والى أن يحرق الانسان بحرارة ذاته ولا يقبس من أحد نارا ، وألا يذل القلب للعقل .

طاوىَ البيداء شوقاً ! أقبِلنْ ... لا تعرّج ، منزلا لا تقبلَن (١)

لا ! وإن سار بليلى محمِلُ ... فامض شوقاً ، محملا لا تقبلن

جدولَ الماء ! تقدم مُسرعاً ... واغدُ نهْراً ، ساحلا لا تقبلن

لا تحَرْ فى مصنعَ الكون وسِرْ ... فى البرايا ، ضلَلا لا تقبلن

يا مُذيبَ الحفلِ ! لا تقبل له ... حُرقة ، كن مِشعلاً ، لا تقبلن

كل قلب ذلّ للعقل فقد ... قال ربى أزلاً : لا تقبلن

وحّد الحقَّ وثنّى باطلْ ... شَوْبَ حقّ باطلا لا تقبلن

---

(١) القافية مردوفة والروى اللام فى منزلا وساحلا الخ .

قطعة

إلى عصبات العُرب ما أنا منتمٍ ولست بهندىّ ولا أنا أعجمى
فقد علمتنى (الذاتُ) تحليقَ نافرٍ يمرّ على الدارين غيرَ محوَّم
بعينك أنى كافرٌ غير مسلم وأنت بعينى كافر غير مسلم
فدينُك تعدادٌ لأنفاس مُحجِم ودينى إحراقٌ لأنفاس مقدم (١)
تبدّلتَ فالتبديل فى الشرع حكمة فليس يُطيق الظبيُ شِرعة ضيغَم (٢)
فلست أرى فى بيدِك اليومَ جِنّةً تشبّ بهذا العقل نارَ التقدم (٣)
إذا حاد عن نار الحياة منغِّم فموتُ شُعوبٍ لحنُ هذا المنغِّم (٤)

اليقظة

خِذنُ حق تنبهت فيه (ذات) كالحسام المصمّم البرّاقِ
نظراتٌ لديه تُشرِقُ فيها ما انطوى فى الذرّاتِ من أشراق
إيهِ عبدَ الآفاق ! كيف تدانى رجلَ الله صاحبَ الآفاق
أنت فى البرّ قاعدٌ عن طِلابٍ وهو فى البحر محرِمَ الأعماق

---

(١) أنت تدين بالسكون والاحجام فحياتك عد أنفاس ، وانا أدين بالجد والاقدام فحياتى احراق أنفاس .

(٢) كرر اقبال هذا المعنى ، يقول ان الجماعة اذا ضعفت لم تستطع السير على شريعة القوة فهى تعمل فى تبديلها بدل أن تبدل نفسها .

(٣) يرمز الى هيام مجنون ليلى فى البيداء . والجنون فى شعر اقبال الاقدام فى غير مبالاة .

(٤) اذا لم تكن الالحان ناطقة بحرقة الحياة وكدها فهى مميتة للهمم

تربية الذات

ربِّ « الذاتَ » بالرعاية تُبصرْ
(كفَّ ترْب) يُشيع فى الكون نارا [1]

إن سرَّ الكليم فى الدهر يبدو
وشُعيبٌ والرعىُ ليلَ نهارا [2]

حرية الفكر

بحرية الأفكار هُلكُ جماعةٍ ... إذا لم يكن فيها تدبُّرُ عالمِ
فحرية الأفكار فى رأس جاهلٍ ... طريقٌ لردِّ الناس مثلَ البهائمِ

حياة الذات

إنِ الذاتُ حيَّتْ فالفقير مملَّكٌ ... ترى طغرلاً أو سنجرًا لا يشاكلُ [3]
إن الذاتُ حيَّت فالبحار ضحاضح ... إن الذاتُ حيَّت فالحزون خمائلُ
ترى فى الحياة الوحشَ قاهرَ لجة ... وفى موته موج السراب سلاسلُ

---

(١) تكثر الكناية عن الانسان بكف من تراب أو قبضة من تراب .

(٢) يعنى فسحة البيداء وتربية روح عظيمة كشعيب ، والجد الدائب .

(٣) طغرل وسنجر من ملوك السلاجقة .

حكومة [1]

يَرضى المريدون قولَ حقٍ ليسوا عن الحق بالعُتاةِ
والشيخ قولَ الفقير يَقلي وليس للحق بالمُواتى
قد قعدت أمة وباءت فى حَلبة السعى بالخزاة
إن شغلت عقلَها ببحث فلسفةُ الذات والصفات
دستورُ ذا الديرِ ليس فيه للخمر والشرب من ثبات [2]
لكنما راحُهُ نصيب لأمة حُرة السِمات
الشهد عند الشباب فيها المرّ من مورد الحياة

المدرسة الهندية

إقبالُ أقصِر، هنا لا تُعرَف الذاتُ فما لمدرسةٍ هذى المقالاتُ
الخير ألاّ تُرَى فى عين قُبّرة من البُزاة مقامات وحالات
فلحظة الحرّ عام للذليل فكم كم تبطىء السيرَ بالعُبدان أوقات
ولحظة الحرّ من خُلدٍ رسالته ولحظةُ العبد من موتٍ فُجاءات

---

(١) بمعنى حكم .

(٢) يكنى عن الدنيا بالدير القديم . وقد حذفت القديم فى الترجمة .

وفكرة الحرّ من حقّ منوّرة — وفكرةُ العبد تغشاها الخرافات

كرامة حيّة بالحرّ ماثلة — والعبدَ من غيره تأتي الكرامات؛

حسب المُقيّد تعليما وتربية — تصويره للحوت والنباتات[1]

التربية

فرق علم وحياة — ليس فيه من خفاء؛

هو في الرأس ذكاء — وهي في القلب ذكاء[2]

قدرةٌ في العلم تبدو — ومتاع وثراء

مُعضِلٌ أن ليس فيه — في خُطى السير اهتداء

وأولو الأبصار نزر — وأولو العلم زهاء

ليس بِدعاً أن كأسا — لك من راحٍ خَلاء

ما طريق الشيخ في المكتب — للقلب ضياء[3]

كيف بالكبريت إشعا — لُ سراج الكهرباء ؟

(١) يعني حسب الذليل أن يعني بهذه العلوم والفنون لا تدرك نفسه معاني الحياة السامية التي تسيطر بها على العالم ·

(٢) ذكاء = اتقاد ·

(٣) المكتب ـ المدرسة · وفي تركيا المدرسة خاصة بالعلوم الدينية والمكتب لما يسمى مدرسة في مصر · والكلمة بعينها في الأصل ·

الحسن والقبيح

هنا رأى لاقبال فى الحسن والقبح متصل بفلسفته فى الذات وقوتها وعلوها · يقول ما تدركه الذات فى اعتلائها جميل ، وما تدركه فى استفالها قبيح ·

إنّ للفكر طلُوعا وغروبا ‏ ‏ ‏ كنجوم سابحاتٍ فى العوالى
عالمَ الذات به عُلو وسُفل ‏ ‏ ‏ واعتراكُ القبح فيه والجمالِ
فى اعتلاء الذات ما يبدو جميل ‏ ‏ ‏ وقبيح ما بدا فى الاِستفال

موت الذات

من ممات الذات فى الغرب ظلام ‏ ‏ ‏ وبموت الذات فى الشرق جذامْ
من ممات الذات فى العُرب خمود ‏ ‏ ‏ ولدى العُجم عروق وعظام
من ممات الذات فى الهند جَناحٌ ‏ ‏ ‏ هِيض فى الأقفاص والعشُّ حرام
من ممات الذات يُعرى مسلما ‏ ‏ ‏ من ثيابٍ سادنُ البيتِ الحرام (١)

---

(١) فى الأصل ، شيخ الحرم يبيع ثوب الاحرام ويأكله ، والمعنى أن موت الذات قعدت بالمقيمين فى الحرم عن المساعى وسوغت لهم سفساف الأمور فطوعت لهم أنفسهم أن يأخذوا ثوب الاحرام ليعيشوا به ·

ضيف عزيز

ضمير أولى المدارس فى ازدحام — بأفكار كما امتلأ القفيزُ
وهذا العصر ماض فى هواه — جميلا من قبيح لا يميز
فنى جنبات قلبك أخلِ بيتا — عسى يثوى به ضيف عزيز (١)

العصر الحاضر

فأين يصيب المرء ناضجَ فكرةٍ
وأجواء هـذا العصر لا تُنضجُ الثمَرَ
مدارسُ فيها كلُّ عقل محرَّرٌ
ولكن بها الأفكارُ عِقدٌ قد انتثر
أطاحت بعشق الغرب أفكارُ ملحدٍ
وعبّدَ عقلَ الشرق فوضى من الفِكَرَ

طالب العلم

يريد اقبال بالتعليم ايقاظ نفس الطالب وتحريكها واثارتها للنظر ، وحفزها للمطالب العالية ، لا تلقينها مسطورات الكتب ، فهو يقول :

الله يحبوك علماً — بما نجات العُباب
فإنّ بحركَ رَهْوٌ — ما يُبتَلَى باضطراب

(١) ينبغى أن يخلى القلب حينا من الأفكار المتزاحمة التى تشغله ليفرغ للواردات النفسية والمعانى الروحية العالية .

لن تســـتطيع فراغا　　في السِّـفْر من أبواب
فأنت قاري كتاب　　ولستَ أهلَ كتاب

امتحـان . . .

فى الأبيات التالية يضرب اقبال مثلا لرأيه فى أن الكد والجهد يقويان الانسان ويرفعانه ، وان الحياة لا تكمل دون عناء – يمثل بالنهر المنحدر من الجبل يهوى من صخر الى صخر الخ .

قال نهـر الطود يوماً للحجر :　　بسـقوطٍ وانتكاس تفتخر !
أنت للأقـدام والغمّ لـقًى　　وأنا يشـتاقنى بحـرٌ وبرّ
لم تدهْدَه من جِـدارٍ مرّة　　كيف تُدرى أزجاجٌ أم حجر؟

المدرسة

يقول اقبال ان المدارس وسيلة الى الوظائف وسبيل الى المعايش وهى لا تقدم بالانسان على جهاد الحياة بل تهبط بالفطرة ، وتحجب عن الانسان أسرار الخليقة . وان يكن عنى مدارس الهند فما أشبه كثيرا من المدارس بها .

مَلَكُ الموتِ عصرُنا يتـوفّى　　كلَّ نفس بفـكرةٍ فى المعاش
يَرجُف القلب من كفاح حياة　　وهى موتٌ لمُشفِقٍ من هِـراش
أبعدَ الدرسُ عن حِجاك جنونا　　صـاحَ بالعقل: لا تَلُذْ بنِقـاش (١)

---

(١) جنون يقول للعقل أقدم ولا تتعلل بالجدل وتلذ بالمعاذير .

عينُ صقر مُنحتها وعليها | وضع الرق نظرة الخفاش
حجبت دونك المدارس سراً | هو فى البيد والرواسخ فاشِ

الحكيم نيتشه

اقبال يعجب بنيتشه الفيلسوف الألمانى وفى فلسفته شبه بفلسفته ، ولكنه يأخذ عليه أنه عرف العقل لا القلب وأدرك العلم لا العشق ٠ وهنا يقول : لم يكن « لنكتة التوحيد أهلا وأنه كان صرورة عفا ولكن كان يتشوف الى لذة الأثم فيكثر الحديث عنها (أنظر المقدمة)

أى قدر لذا الحكيم ولكن | لم يكن أهل نكتة التوحيدِ
ليس إلا لذى البصيرة يبدو | سرُّ معنًى بـ (لا إله) بعيدِ
أرسلَ الفكرَ أسهما فى سماء | وحوى الشمسَ بالخيال المديد
طاهرُ الطين فى الترهب لكن | لذة الأثم نُصبُ طرْفٍ حديد

الأساتذة

إن كان تربيةُ الياقوتِ مقصدَنا | فما شعاعٌ رمته الشمسُ حيرانُ (١)
وما المدارس أو ما الدارسون بها | وللروايات عمّ الأرضَ إذعانُ
كانت جديراً بقود العصر أدمغةٌ | يقودها العصر مافيهن نكرانُ

---

(١) يقول الطبيعيون القدماء ان العقيق والياقوت ونحوهما من الأحجار النفيسه تنضج بأشعة الشمس ٠ ويقول اقبال : ان كان القصد تربية النشء فلا تجدى هذه الأشعة الحائرة المتفرقة . تربية النشء تقتضى أن يؤثر الأساتذة فى التلاميذ تأثير اشعة الشمس المتجمعة فى الأحجار النفيسة ٠

قطعة

يبلغ المنزلَ سـارٍ لاينامْ ... مُسرِجٌ عينَ هِزبْرٍ فى الظلامْ
إنما للعبـد تُمنَى راحةٌ ... ليس للحرّ على الأرض حَمام
قد أزاغ العينَ فى الغرب سَناً ... لك من صاحب (ما زاغ) إمام(١)
ذاكمِ الحفل الذى أكؤسه ... كنجوم ، لَمحةٌ فيه المُقام
أعمتِ الأسفارُ حِسّا فالصَّبا ... لم تعطِّرْ لك مَن روضٍ مشامْ(٢)

الدين والتعليم

قد عرفنا قدرَ أشياخ الحَرَم ... كلُّ دعوى دون إخلاصٍ سَقَمَ
ولتعليم النصـارى نغمٌ ... ليس من دينٍ وخُلقٍ ذا النغَم
تـكتب الذلَّ على أقـدارها ... أمّةٌ بالذات فيهـا لاتُهَمّ
ربمـا تَغفِرُ للفرد ولا ... تغفِرُ الفطرةُ آثـام الأمم

---

(١) يشير الى الآية فى سورة (النجم) « ما زاغ البصر وما طغى » . وصاحب ما زاغ هو الرسول عليه السلام .

(٢) يعنى أن العكوف على الكتب أمات الحس . فالصبا تمر على الروض وتأتى اليك فلا تشم رائحة الروض فيها . حجبت الكتب عن النفس ادراك المعانى الروحية العالية وأغفلت الانسان عن وحى الكون .

إلى جاويد

جاويد ابن الشاعر وباسمه نظم « جاويد نامه » الديوان الخالد ·
وجاويد اليوم يطلب العلم في لندن أرسلته اليها حكومة باكستان ·

والأبيات الآتية معارضة لشعر نظامي الجنزي (الكنجوي) الذي ينصح فيه ابنه · وقد ختم اقبال كل قسم من الأقسام الثلاثة الآتية التي قسم اليها نصيحة جاويد ببيت فارسي من أبيات نظامي التي نصح بها ابنه · ونظامي من أئمة شعراء الفرس ·

— ١ —

حَربٌ على الأديانِ ذا الزمانُ ... مركّبٌ في طبعهِ الكفرانُ
سُدّة أهل الله – فاطلُبنْها ... أرفعُ مما شيّد السلطان
لكنه « والحقِ » عصرُ سِحرٍ ... السحرُ في أموره ميزان
عينُ الحياة ماؤها نَضُوبٌ ... فأين راحُ الليل والرّيحان
من كان في نظرتهم سِهامٌ ... منهم خلا الكُتّاب والديوان
لكما الدار التي مراج ... أنت لها مَذاقُها عِرفان (١)
ان تك (لا إله) في ضمير ... فالغرب من تعليمه أمان
عشُك فوق (الذات) أحكِمَنه ... ثم اطرَبنْ ماشاءت الأغصان
الآدميُّ يا بنيَّ بحرٌ ... في كل قطرةٍ به طوفان
مِن حبّةٍ ترى ألوفَ حبٍّ ... إمّا جفا راحتَه الدِهقان

لاتغفلَنْ فلاتَ حينَ لعبِ
العلمَ حصِّلْ واستهِنْ بالصعب

---

(١) يعني دار اقبال التي نشأ بها جاويد ·

- ٢ -

ان لم يكن فى الصدر حرُّ قلب　　لم تنضجِ الحياةُ فى هُمام

ان ينشَطِ الغزالُ فى ذَكاء　　لم يظفرِ الصيادُ بالمَرام (١)

ماء الحياة هاهنا قريب　　طريقُه حرارةُ الإقدام (٢)

فى غيرة أرى طريقَ حقّ　　الفقرُ بالغيرة فى تَمام

يا قرةَ الأعينِ مستحيلٌ　　لباشق ضَراعةُ الحَمام (٣)

ليس المقالُ فى الأنام نَزرا　　كم أنورىّ عندهم وجامى (٤)

وانما بين الورى متاعى　　نُواح خالٍ فى دُجى الظلام

وصدقُ أقوالٍ بها تَرانى　　فى نظر الدنيا من الكرام

---

(١) انما يصاد الصيد حين يغفل أو يبطىء . فان كان يقظا وثابا لا يظفر به الصياد . فالانسان لا تخضعه الحادثات ان صحبة الذكاء والاقدام .

متى تحمل القلب الذكى وصارما ✻ وأنفا حميا تجتنبك المظالم

(٢) ماء الحياة يوجد فى هذه الدنيا والسبيل اليه الجد والكد ، وشدة العطش . كما قال فى رسالة المشرق :

غصن الحياة ندى ✻ من ظمئنا فى الطلاب

(٣) الباشق ضرب من الطيور الجوارح . ولا يذل الباشق كالحمام . فكذلك الكرام لا تضرع ضراعة الحمام .

(٤) ليس الكلام فى الناس قليلا فكم فيهم من شاعر مثل الأنورى والجامى . وهما من كبار شعراء الفرس .

موهبةُ الخلاّقِ لا تُراثٌ نباهة الذكر على الأيّام
لنور عينيه يقول نصحا ما أجمل المقالَ من نظامى[1]
أبوّتى ليست بذات بالِ
فى حلبة السبقِ إلى المعالى

-٣-

عبء على المؤمنِ ذى الليالى الدينُ والدولةُ فعلُ هازى
ولا أرى نشوان فى كِفاح فليس الاكلُ توازى
فان تكن ذا همة فأقدم وابتغ فقراً أصله حجازى[2]
الآدمىّ منه فى صِفاتٍ كالله مستغنٍ بلا إعواز
هذا المقام للبُغاث حَتف فإنما هذا مقام البازى
تُضىء عينُ العقل من سَناهُ ما بابن سينا كُحِلت والرازى
سطوةَ (محمودٍ) تُصيب فيه إن لم يكن طبعُك من إياز[3]

(١) نظامى شاعر فارسى كبير ذكر فى مقدمة هذه الأبيات ·

(٢) فقر نسب الى الرسول الحجازى · راجع المقدمة فى الكلام على الفقر ·

(٣) السلطان محمود بن سبكتكين وغلامه اياز يشيع ذكرهما فى الآداب الاسلامية الشرقية · وضرب محمود واياز هنا مثلا للعظمة والحقارة ·

فذاك فى دنيـــاك إسرافيـلٌ　　من نَفَخات النـاىِ فى اشمئزاز[1]
نظرتُه المثـيرةُ الليـــالى　　ســاريةٌ بالـكون فى ارتجاز
وصاحبُ الفقرِ الغيورِ هـذا　　بلا ســلاح فى الزمان غازى
إمارةُ المؤمن فيـــه سرٌّ
عطيّـةُ الوهاب هـذا الفقر

(١) فذاك ٠ اشـارة الى الفقر فنفسـه لا يلائم النـاى ولكن صور اسرافيل ٠

القسم الثالث

المرأة

الرجل الأفرنجي

كم حكيم قد تمنّى حلّه … مشكلَ المرأة فى هذى الحياةِ
لاتلمْها فى فساد شائع … شهدتْ بالطهر كلَّ النيِّرات
عِشرة الأفرنج نَهجٌ مُفسِد … جهِل الحمقى طباع المحصَنات

سؤال

إلى عالم الغرب من أسلست … له الرومُ والهندُ يُزجى سؤالْ :
كمالُ معاشرةٍ عندكم … حِيالُ النساء وعُطْلُ الرجال ؟ (١)

حجاب

أرى فلكا كلَّ حين للون … ولم تنضُ دنياك هذا الأهابْ
ولا فرق ما بين عِرس وعِرس … فذى فى نقاب وذا فى نقاب (٢)
ولم يزل الناس رهنَ حجابٍ … ومن برزتْ ذاته من حجاب ؟

---

(١) الحيال الخلو من الحمل .

(٢) نقاب الرجل والمرأة فى هذا البيت يفسره ما فى البيت الذى بعده ، أن الذات لا تزال فى حجاب . والعرس الزوج للرجل والمرأة .

الخلوة

فَضَحَ العصرَ جِنّةٌ بالسفورِ نُورُ عَيْنٍ وظُلمةٌ فى الصدورِ

إن تجُزْ متعةُ العيون مَداها كان فيها الشتاتُ فى التفكير

قطرةُ الماء لا تُحوَّل دُرًّا دون أصدافها بقاع البحور

تُمسكُ الذاتُ نفسَها حين تخلو لا خلاء بمسجد أو ديور

المرأة

إنما المرأة لونٌ فى رسوم الكائناتِ

لحنُها ينفث نارَ الوَجد فى صدر الحياةِ

ذلك الطينُ تعالى فوق أوْج النيِّراتِ

إنها دَرجٌ لديها كلُّ دُرّ من صفات

ماالأفلاطونُ تَروى من قضايا معضلاتِ

وهْو منها كشرار من ذكىّ الجمرات[1]

(١) يعنى ان المرأة لا تتفلسف ولكن تلد الفلاسفة .

حرية النساء

قضيةُ عصرٍ لست فيهـــا بفَيْصل
وإن كنتُ بين الشهـد والسمّ أفرِقَ
وما نَفعُ أقـــوال تزيد مَلامتى
وقبلاً بنـــو التمدين عنّى تفرقوا
يبيّنُ هـــذا السِرّ وِجـدانُ مرأة
ويعجز عنـــه فى الرجال المحقق :
أحرّية النسوان أجمـــلُ زينةً
أم الجيـــد بالدرّ الثمين يطوّق (١)

حصانة المرأة

فى الصدر حقّ ليس يُدركه	من حاز بردَ دِمائه عَصَب
حفظ الأنوثة فى يدىْ رجل	لا العلم يحفظها ولا الُحجُب
إن غاب هذا الحق عن أمم	فـكسوف شمس فيهمُ كَثَب

(١) هـذه قضية لا يفصل فيهـا الا المرأة : أحرية المرأة كما نرى اليوم أحب اليها أو غل عنقها بعقد من اللؤلؤ فى رعاية زوج وصيانة بيت .

المرأة والتعليم

مَوْتَ الأمومة إن رامت حضارتهم فالموتُ عاقبـة الإنسان فى الغربِ
إن يجعـل المرأةَ التعليمُ لا امرأةً فالعـلمُ مَوتٌ يراه صاحبُ القلب
إن تحرمنَّ الفتـاةَ الدينَ مدرسةٌ فالعلمُ والفنُّ موتُ العِشق والحبِّ (١)

المـرأة

بغيره يتجلَّى جوهـــرُ امرأة ووحده يتجـلى جوهرُ الرجلِ
حرارة الشوق سرٌّ فى بلابلها كيانُهـا لذَّةُ التخليق كالشُّعَلِ
من هذه النار أسرارُ الحياة بَدَت والخلق والموت منها فى وغًى زَجِلِ
كذلـكم فى فؤادى للنساء أسى لـكنها عقدة أعيت على الحِيَلِ (٢)

---

(١) ان أغفلت المدرسة الدين الذى يحفظ للمرأة حرمتها وحدودها ، فعلمها وفنها موت عاطفة المرأة وذهاب الحب الحق .

(٢) هو كذلك يرثى للمرأة مما أعدتها الفطرة له وما حملتها اياه . ولكن لا حيلة لأحد فى هذا .

القسم الرابع

الأدب والفنون

الدين والفن

الدين والفن والتدبير والخُطَب
والشعر والنثر والتحرير والكتبُ
كلٌّ يُحيط بمكنون يَضِنّ به؛
فى صدره يتوارى جوهرٌ عَجَبُ
ومن ضمير سليلِ الطين مطلعُها
لكن لها من وراء الزُهْر مضطرَب[1]
إن تحفظ «الذاتَ» هذى فالحياة بها
أولم تطق ذاك فهى السِحر والكِذب[2]
كم أمةٍ تحت هذى الشمسِ قد خَزِيت
إذ جانب الذاتَ فيها الدينُ والأدبُ

التخليق

جِـدّةُ الدنيا بتجديد الفِكَر   ليست الدنيا بصخر ومَدَر
همّـةُ الغائص فى «الذات» لها   من غدير الماء بحرٌ قد زَخَر

---

(١) سليل الطين = الانسان .

(٢) الدين وسائر ما ذكره فى البيت الأول مقصدها حفظ الذات الخ

قاهرُ الأيام مَن أنفاســـه		هي أعمارُ خــلودٍ في الدهَر
رِيحُ أصحاب من البِيد أتت		لا عجيبٌ إن بدا خِذْن سفرَ(١)

جنون

واهنُ البيت شــاعرٌ وفقيه		وطوى البيدَ ـ ويحه ـ المجنونُ
في طماح الجنــون أيّ كمالٍ		حين تعدو البيداء منه فنون(٢)
فله في الدروس أيضاً مجالٌ		ليس وقفاً على الفيافي الجنــون

إلى شعره . . .

لِيَ من فعلك شـكوى :		همتَ في حُبّ الطــلوعْ
شِــغتَ عن قلبيَ فالأســ		ـرار عن قلــبي تَشــيع
لا تكن مثـلَ شَرار		نــدّ عن نارٍ يضــيع
والتمس خــلوةَ صــدر		فيــه من نــار ضــلوع

(١) يعجب اقبال بالبادية ؛ لأن الذات فيها أقوى ، ولذكرى الرسول وأصحابه الذين أخرجوا للعالم الحياة والقوة . وهو يجد من البادية ريحا تبشر بصاحب مسعد له يدعو دعوته ويحقق أمله .

(٢) ان تجاوز البيداء الى الحضر فنونه ، وفيه اشارة الى مجنون ليلى .

مسجد باريس

يا نظرى لا يخدعنك فنه ... للزور هـذا الحرم المغربُ
وليس هـذا حرماً لكنه ... عنـد الفرنج للغرام ملعب
قد أخفت الإفرنج روح موثن ... فى صورة من حرم تكذب (١)
إن الذى شيد هـذا موثنا ... دمشق من عدوانه تخرب

الأدب (٢)

بهذا يجمل الشاعر طريقة الأدب الحديث ، فهو مزاج من القلب والعقل . وهو يجدد الروح فى صور قديمة أو يحرر من التقليد الأرواح العتيقة .

رأيت العشق يقفو اليوم نهجا ... من العقـل الإلهىّ القويم
وليس يريق ماء الوجه ذلاً ... على عتبات محبوب غريم
محا التقليدَ فى روح قديم ... وأحيا الروح فى جسد قديم

البصـــيرة

الربيع النضيرُ مِلءُ الفضاء ... وجيوشُ الشقيقِ فى الصحراء
وشبابٌ ومتعـة وسُرور ... ودلالٌ ونشوة بالفتاء (٣)

---

(١) الموثن ـ معبد الأوثان .

(٢) كتبت فى بهوبال ـ رياض منزل ـ دار السيد راس مسعود .

(٣) الفتاء الشباب .

وعيون النجوم فى حلَك الليل ... وسَبح الأفلاك فى الدأماء[1]
وعَروس الهلال فى هَودج الليل ... تهادى بموكبٍ للقاء
وتبدّى ذُكاء فى رَونق الصبح ... وصمتُ الأفلاك فى ذا الرُواء
سرِّح العينَ ، لاتكلّفُ أجراً ... لا يباع الجمالُ فى ذا الفضاء

مسجد قوة الاسلام[2]

تملأ صدرى همومُ مفئودٍ ... لم يبق إلا اذكارُ مفقودِ[3]
قد خمدت « لا إله » لا حُرَقٌ ... ولا تجلٍّ ثواء ملحود
فى الخلق كل العيون تنكرنى ... أعيا ايازاً مقامُ محمود[4]
من صَخرك المسلمونَ فى خجَل ... لجوهرٍ كالزجاج معدود[5]
فإنما كفء ما تمثّله ... صلاة حُرّ ربيب توحيد
جلالُ تكبيره لذى أذنٍ ... فيه وغىً هالكٍ وموجود
وما صلاتى بقلب ذى حُرَق ... ولا دُعائى دعاء معمود
ولا أذانى جلالُ مقتدر ... فكيف ترضى سجودَ رِعديد

(١) الدأماء البحر .
(٢) مسجد عظيم شامخ فى دهلى هدمت بعض جدره .
(٣) المفئود حزين الفؤاد .
(٤) السلطان محمود واياز مولاه أى لا ينال العبد مقام السيد .
(٥) لجوهرهم الضعيف كالزجاج .

مسرح

تضيء حريمَ وجودك ذاتُك ... كِفاحٌ بها وسرورٌ حياتُك
لها فوق أوج الثريا مَقام ... جُليتَ بها وتجلّتْ صِفاتك
أمِن « ذات » غيرك تَعمرُ قلباً ... معاذ الإله ! ترُى أين ذاتك ؟
فلا تبعثْ وُثْنَها بعد موت ... فتحيا مناتُك فيها ولاتُك(١)
كمال المحاكاة أنك تَفنى ... فيكفيك همَّ الحياة مماتك(٢)

شعاع الأمل

لعل الشاعر يعنى نفسه بشعاع الأمل . الشمس يئست من اضاءة فى الشرق او الغرب فدعت أشعتها اليها ، فجاءت الأشعة الى صدر أمها معترفة بيأسها الا شعاعا جريئا يقول للشمس : ذرينى أضيىء الشرق ولا تيأسى فكل ليل الى صباح . الشاعر يرى فى أمله ودعوته فى الشرق هذا الشعاع .

— ١ —

تنادى أشعتَها فى ضجَر ... ذُكاء وتجمع منها النَّشَر(٣)
عجبتُ لدنيا نهار وليل ... عجبتُ عجبتُ لدنيا الغِيَر
إلامَ الهُيامُ بهذا الفضاء ... وجَورُ الزمان بكنّ استمرّ

---

(١) الوثن جمع وثن . ومناة واللات صنمان ذكرا فى القرآن .
(٢) كمال التمثيل أن يفنى الممثل فيما يمثله . فعليك أن تفنى فيمن تحاكيه ما دمت مقلدا فتستريح من عناء الحياة .
(٣) النشر — المنتشر المتفرق .

فلا دعةٌ فى اتقادٍ برمل تَلألأ ذرّاته كالشرر
ولا دعَةٌ فى دوام طواف طوافَ الصَبا فى رياض الزهَر
تجمّعْنَ فى صدرىَ المستنير ودعْنَ البداةَ ودعن الحضَر

— ٢ —

تداعى الأشعةُ من كل صَوب إلى الشمس تبغى لديها قرارا
وصاحت : تعذّر فى الغرب نورٌ دُخانُ المصانع يكسوه قارا
وفى الشرق قلب بصير ولكن كعالَم غيبٍ بصمتٍ توارى
أنورَ العوالِم ! لا تهجُرينا إلى نور صدرك آوى الحَيارى (١)

— ٣ —

شُعاعٌ جرىء له نظرة كنظرة حوراء تغزو الضمير
ولا يستقر على حالة ترى زئبقاً فى ضياء يمور
يقول : أُضيء على الشرق حتى أرى ذَرّه كشموس تنير
وأجلو عن الهند هذا الظلام فأوقظُ نُوّامها للنشور
ففيها من الشرق آماله « وإقبالها » بالدموع مَطير
تضيء بها أعين النيّرين حصاها يلوح كدرّ منير
وكم عاش فى أرضها غائص يرى كالضحاضح لجَّ البحور

(١) الخطاب للشمس .

فأعوزَ أعوادَها عازفٌ وكانت تَهيج الجوى فى الصدور
ينام البرَهْمَنُ فى سُدَّةٍ لدى مَوْثَن والزمانُ يسير
ومسلمها خِذنٌ محرابه ينوح ومن قَدَر يستجير
فلا يحزُنَنكِ من الشرق نوم وفى الغرب لا ترهبِنَّ الشرور[1]
قضت فطرةُ الله أن تبْدلِى بليلِ الظلام صباحَ السفور

أمل[2]

لستُ من أجناد حرب لا ولا ربُّ لواء
بيد أنى فى صروف الدهر ثبْتٌ فى اللقاء
عُدّتى ذكر وفكر وهُيام وغناء
لست أدرى أهو شعر أم سواه ذا العطاء[3]
إن عبد الحق يزُهَى فى محيّاه ضياء
من جلال ظلّ فكرُ الكون منه فى امتلاء
ليس دون الكفر إن لم يك كفراً ذا البلاء :

(١) الخطاب للشمس
(٢) كتب فى بهوبال — رياض منزل (دار السيد راس مسعود) .
(٣) هو يدرى أنه وهبه الذكر والفكر والهيام والفناء ولا يدرى اهذا شعر أم شيء آخر .

أن يُرى بالحاضر المشهود للحرّ سِباء[1]
لا تذب غمّاً فكم فى الدهر أدوارٌ وِضاء
كم نجوم حادثات سوف تجلوها السماء

البصيرة

لم تُخفِ هذى الكائناتُ ضميرَها شوقُ الظهور يثور فى ذرّاتها
إن صاحبَ النظَراتِ شوقُ بصيرة تتبدّلِ الأيامُ فى جَلَواتها[2]
من ذى البصيرة فى الليالى قد غدا أبناه من خضعوا لها ساداتها
من ذى البصيرة لى جنون ثائر عَرفت به الذراتُ طيَّ فلاتها[3]
هذى البصيرة لا تيسّر لامرىء تُخْزَى القلوبُ بنفسه وسِماتها

---

(١) ليس أقل من الكفر أن يأسر الحر ما يراه ويشهده فيقيد به فكره وعمله . فالحر لا يقيده ما يسمى « الأمر الواقع »

(٢) يعنى أن نظرة البصيرة تنفذ الى حقائق الاشياء فترى الدنيا على غير صورتها الظاهرة .

(٣) الجنون ، هو الحماس والاقدام . ويعنى الشاعر أن بهذه البصيرة ثار هذا الجنون فى نفسه فهذه الذرات التى تطوى الفلاة تعلمت من جنونه طى الفلاة . والشاعر يقرن الجنون بالفلاة اشارة الى قصة مجنون ليلى (تراجع المقدمة فى معنى الجنون) .

إلى أهل الفن

مذهب الشاعر ان الفن ينبغى ان يحرر من محاكاة الطبيعة . وينبغى ان يصور « ذات » صاحب الفن . فالكواكب لمحات من نور لا ثبات لها ، و « الذات » العاشقة خالدة . وضمير الانسان لا تحده الالوان ، والذات تخلو للذكر والفكر ، وتظهر للشعر والانشاد غير خاضعة لهذا العالم . والروح المستعبدة فنها عبد ، والروح المقدرة نفسها تسيطر على كل شيء .

رأيت الكواكبَ لَمْحاتِ نور ... وذاتُك بالعشق رَهنُ خلودْ
تعالى ضميرك عن كل لون ... فعفتَ من اللون كل القيودْ
وغيبةُ ذاتك ذكر وفكر ... ومحضرُها شعرُها والنشيدْ
إذا أضنَتِ الروحَ آلامُ رقٍ ... ففنُّك عبدٌ رهينُ سجودْ
وإن عرفَتْ قدرَها كنتَ حقاً ... على الجن والأنس ربَّ الجنودْ

قطعة

ثائِرَ الموج كم لدى البحر درٍ ... وعلى الساحل الصَّموت غُثاء[1]
فى شَرارى سنا البروقِ ولكن ... رَطبة العُود هذه القَصباء[2]
ولك الوقت والتصرّف فيه ... ليس يا غرُّ ! للنجوم غناء

(١) الدر فى ثورة الموج وليس فى سكون الساحل الا الغثاء فالحياة جد وكد ، لاسكون .

(٢) شرارى يحرق كالبرق ، ولكن هذه النفوس كالقصب الرطب لا تشتعل .

قد رأينا عجيبةً من جنونٍ … فيه رفوٌ لما يشقّ القضاء (١)
إنما الكامل الخلاعةِ شهمٌ … دون منّ الكروم فيه انتشاء (٢)
وإلى اليوم حانةُ الشرق فيها … خمرةٌ للشعور منها جلاء (٣)
يئس المبصرون من أمم الغرب ففيها بواطنٌ سوداء

الوجود

أنت تحت الشمس تمضى كشرار … لستَ تدرى ما مقاماتُ الوجودْ
ليس فى فنّك للذات بناء … ويلُ تصويرٍ وشدوٍ وقصيدْ
ليس فى المكتب والحانة إلا … درس إفناء به الذات تبيدْ
ليت شعرى هل تعلمتَ وجوداً … لحياة ودوام وخلودْ

الغناء

صاح من أين لنايٍ نشوةٌ ؟ … صَوتُ عُودٍ ذاك أم من قلب حىّ ؟
صاح ما القلب ؟ ومن أين له … قوةٌ سكرى تحدّتْ كل شىّ

---

(١) بعض الجنون يغير ما يظنه الناس قضاء ، فهو يرفو ما يمزقه القضاء ، أى يصلح فى هذا العالم مذللا الطبيعة وما يحسبه الناس قضاء وقدرا فى هذا الكون .

(٢) رجل نشوان بفكره وعمله مقدم بنفسه فى غنى عمن يؤثر فيه سكران بغير خمر .

(٣) الخمر المؤثرة تحجب الشعور ولكن خمرة الشرق لا تؤثر فهى تزيد الشعور جلاء .

ولماذا نظرة منه سرت مثلَ ريح صرصر فى تخت كى[1]
ولماذا ذلك السرّ له : من حياة فيه يحيا كلّ حى[2]
ولماذا كلَّ حين مبدلٌ واردات زُمراً تهفو إلىّ
ولماذا صاحبُ القلب ازدرى ملكَ روم ومُنَى شام ورىّ
إن وعى للقلب رمزاً مطربٌ طُوِىَ الفنّ له أسرعَ طىّ[3]

النسيم والندى

النسيم :

لم أرقَ فى فلك النجوم وإنّنى فى شقّ أثواب الأزاهر أعملُ
وأسيرُ عن وطنى غريباً مجبراً فى مسمعى شدوُ البلابل يثقل
قل لى، فقد أعطيت سرّ كليهما، المرجُ أم فلكَ الكواكب أجمل[4]

الندى :

لو لم تكن فى المرج رهنَ هشيمه لرأيته سرّ الكواكب يحمل[5]

---

(١) كى – كيكاوس أحد ملوك الفرس القدماء ، وفى الأساطير أنه كان له تخت يطير به .

(٢) لماذا خص القلب بهذا السر ، أن بحياته تحيا الامم .

(٣) ان عرف المطرب رمز القلب فأرسل فى نغماته خفقات القلوب ، طوى مراحل الفن فبلغ غايته دون عناء .

(٤و٥) يسأل النسيم الندى وقد هبط من السماء الى المرج ، أيهما أجمل . فيقول الندى لو لم تتعلق بالهشيم ، وتقف عند المظاهر لرأيت فى المرج سر الكواكب وما وجدت فرقا بين السماء والمرج .

أهرام مصر

في هذه الأبيات يشيد اقبال بالانسان وقدرته على الابداع ويشير الى ما قال فى ابيات اخرى من ان صاحب الفن لا يحاكى الطبيعة بل يسيطر عليها ويؤثر فيها .

شادت الفطرة كُثباناً لها | فى سُكونٍ من يباب قد وقد
روّع الأفلاكَ فيه هرمٌ | أيّ كفٍّ صوّرت هذا الأبد !
من إسار الكون حرّرْ صنعة | صائدٌ ذو الفن أم صيداً يعدّ (١)

مخلوقات الفن

قد رأى ذو بصرٍ سرّ الذات | وجلا الفنُّ لعينٍ جنّاتِ (٢)
ما به الذات ولا الكون يُرى | فهو من جهد حياة فى نجاة (٣)
تعس الكافرُ مَن أصنامه | من حُطام لمناةٍ واللات (٤)
هالكٌ صلّى عليه فنُّه | فى ظلام اللحد يرنو للحياة (٥)

---

(١) لم يحاك بانى الهرم كثبان الرمال ، بل شاد هذا الاثر الخالد . فحرر الصنعة من أسر الخليقة . فأن صاحب الفن صائد لا صيد يأسر الخليقة ولا تأسره .

(٢) ذات الانسان أو مركز وجوده (خودى) فى فلسفة اقبال .

(٣) ليس فى هذا الفن الذات ولا فيه عالم الصباح والمساء فهو فرار من جهاد الحياة .

(٤) المقلد في الفن يتخذ أصناما من بقايا أصنام محطمة كانت فى الاعصر الخالية .

(٥) فى الاصل أنت ميت وفنك امام جنازتك .

إقبال

جلال الدين الرومى أكبر شعراء الصوفية ، ومجد الدين السنائى طليعة شعراء الصوفية الكبار ، ومنصور فى لغة صوفية الفرس والهند هو الحسين بن منصور الحلاج الصوفى المعروف • والشاعر يتخيل أن السنائى قال فى الجنة للرومى : لا يزال الشرق فى أسر القديم • فقال الحلاج قد ظهر مجـــذوب أفشى للناس سر الذات فهو حرى أن يبدل الحياة فى الشرق .

قال للرومىّ فى الخلد سنائى : لا يزال الشرق بالتقليد يُؤسَر

قال منصور : ولكن قد سمعنا أن سرّ الذات أفشاه قلندر [١]

الفنون الجميلة

نظَرات الآفاق مُتعـــةُ عين سرِّحوا العين يا أولى الأبصار

غـير أنى أقـول : ما نظراتٌ لا تجلىّ كوامنَ الأسرار [٢]

مقصــدُ الفن فى الحيــاة لهيب أبدىّ فما وَميضُ الشَرار ؟ [٣]

قطرُ نَيسانَ ! ما اللآلىء إن لم تتــلاطم بها قلوبُ البحار [٤]

---

(١) راجع المقدمة فى معنى قلندر .

(٢) ان لم تنفــذ نظرات صاحب الفن الى حقائق الاشــياء فما هى بمجدية •

(٣) الفن يصور لهيب الحياة الابدى ، فلا قيمة للفن الذى يخرج شرارا لا يلبث أن يطفأ •

(٤) قطر المطر فى نيسان يخلق منه الدر فى الصدف • يقــول الشاعر يا قطر نيسان ما قيمة الدر الذى لا يضطرب له قلب البحر • يعنى أن بدائع الفن ينبغى أن يجيش لها قلب العالم •

ما نسيمُ الصباح في الشعر واللحن إذا ما أذوى سـنا الأزهار [1]
ليس إلا الأعجـاز يحيي فنّ ليس ضربُ الكليم فيه، عوارى [2]

صبح المرج

خلاصة ما يؤخذ من هذه الأبيات ان الانسان ينبغى أن يعمل فى هذه الأرض غير غافل عن عالم الغيب ، كضوء الصبح يغشى السهول والجبال ولكنه موصول بالفلك ، وعالم الغيب والشهادة ليسا متباعدين كما قال الندى : ان الطيران يعلم ان الأرض ليست بعيدة من السماء .

الزهرة :

وافدَ الأفلاك ! هل خلت بعيداً موطنى ؟ لا إنه غيرُ بعيـد

الندى :

من يَطِر ما بين أرض وسمـاء يتبينْ أنه غـيرُ بعيــد

الصبح :

أقبلن في الروض كالصبح رفيقاً ليس يؤذى وطؤه قطرَ النـدى
واحضنِ الأجيال والبيد ولـكن من عُرى الأفلاك لا تحلل يدا

---

(١) ان كان نسيم الصبح المتمثل فى انشاد الشاعر ولحن المغنى يذبل الزهر فى الروضة ولا ينضره فأى نسيم هو ؟

(٢) حياة الأمم بالاعجـاز ، فالفن الذى لا اعجـاز فيـه عارية لا دوام لها .

الخاقانى

شاعر فارسى كبير ، توفى فى تبريز سنة ٥٨٢ هـ . وله من الكتب « تحفة العراقين » . سجل فيها ما راى فى العراقين العربى والعجمى حينما مر بهما فى طريق الحج ، وله ديوان ، ومنظومة اسمها « هفت اقليم » (الأقاليم السبعة) .

وهذه الأبيات جاءت فى الأصل فى القافية المزدوجة وعلى وزن = مفعول مفاعلن فعولن . وهو ضرب شائع فى الشعر الاسلامى الشرقى وهو مشتق من الأوزان العربية ولم اجده فى الشعر العربى الا فى أبيات لبهاء الدين زهير أولها .

يا من لعبت به شمــول   ما ألطف هــذه الشمائل

وقد ترجمتها على قافيتها ووزنها لأزيد فى شعرنا مثالا فى هذا الوزن الى أبيات زهير :

ذا صاحبُ تحفةِ العراقَينْ   ذو القلب يراه قرة العَينْ

تنشقّ لفكره الســتور   الُحجْبُ جميعُهــا تُنــير

يجتــاز بعالم المعــانى   لا يسمع قول : لن ترانى (١)

فاسأله بذلك الـــتراب   والدهرِ يجيشُ فى عُبــاب (٢)

---

(١) ينكشف له عالم المعانى فلا يسمع منه (لن ترانى) وهذا رمز الى الآية فى قصة موسى = قال لن ترانى .

(٢) أسـأله عن هـذا العالم الأرضى وعن حوادث الدهر . وفى القرآن الكريم « فاسأل به خبيرا » اى اسأل عنه .

ذا محـــرمُ عالم الثواب كم دلَّ بموجز الخطاب :[1]
« ناهيك بشرِّ هـذا العالم إبليس ثوى ومات آدم »[2]

الرومى

هو مولانا جلال الدين الرومى صاحب المثنوى . والشاعر يتخذه اماما ويشيد بذكره فى شعره .

ما زال طَرفُك فى خَلْطٍ وفى سِنةٍ وعنك ذاتُك فى الأسرار لم تزَلِ
ولم تزل فى صلاةٍ لا قيامَ لها وبالضراعة عزّ الروح لم تَصلِ[3]
ومِزهر « الذات » أوتارٌ مقطّعة مازلتَ عن نغمة الرومىّ فى شُغُل

(١) المحرم المطلع على السر . واستعملها شعراء الفرس وغيرهم فاقررتها فى العربية وليست بعيدة من المعنى الأصلى .

(٢) حسبك تعريفا بهذا العالم أن آدم مات وبقى ابليس اى بقيت نزعات الشر فى هذا العالم . فهو عالم محنة وجهاد . وهذا البيت مضمن من شعر الخاقانى .

(٣) الصلاة قيام وسجود ، يقول الشاعر انهما رمز الدلال والضراعة (ناز ونياز) اى الخضوع والسيادة ، ولكن بعض الناس صلاتهم سجود بغير قيام الخ .

الجـــدّة

يرى الشاعر ان الانسان لا ينفذ ببصره الى حقــائق الأشــياء .

يقول انك ان صدقت النظر فيما حولك رايت دنيا اخرى جديدة غير التى تراها وتغير ادراكك هذا العالم وتبين أنه مسخر لك .

إن صدقَتْ نفسُك فى الدهر النظرَ   تنوَّر الأفلاكُ منك فى البُكَرْ
وتستضىء الشمسُ منك بالشَرر   وينجلى قدرُك فى سِما القمر
والبحر يلقى منك موجاً ذا دُرر   وتستحى إعجازَ صُنعك الفِطَر (1)
تخذت أفكار الورى مرآتك   فكيف لا تبلغ حتى ذاتك (2)

مِرزا بيدِل

من شعراء ايران ، ذهب الى الهند أيام السلطان شاه جهان فاكرم السلطان وفادته . وهو شاعر صوفى له ديوان كبير يغلب فيه التعمق وتكثر الدقائق .

وقد أعجب اقبال بفكرة فى بيت لبيدل فبنى عليه هذه الأبيات وهى ان هذا العالم الحسى لا خطر له بل لا وجود له الا عند من ضاق عن ادراك الحقائق الكبرى التى يختفى معها هذا العالم . كالخمر يظهر لونها كاس الزجاج لضيقها . وترجمة البيت فى النثر .

« لواتسع القلب ماظهر هذا المرج   خرج لون الخمر من شدة ضيق الزجاج »

---

(1) تستحى الخليقة من صنعك المعجز ، تراه أحسن منها .

(2) انك استعرت أفكار النــاس فلم تبلغ فى هــذه الحياة حتى ذاتك . فقد أضعتها بالتقليد .

ذى سمــاء وجبــال وفِجَــاجْ		ذاكَ حقّ أم عيونٌ في اعوجاجْ ؟
فرّق الآراء إثبــاتٌ ونفىٌ		أهى دنيـا أم خداع فى الحجاج ؟
عقــدة قد حلّهـــا بيدلُ حقّاً		أعجزتْ مِن قبـله كلّ علاج :
« ما بدا ذا المرجُ لو فى القلب وُسعٌ		بان لونُ الخمر من ضيق الزجاج »

الجلال والجمال

الشاعر من المعجبين بالقوة الداعين اليها ، وهو يدعى هنا الا جمال بغير جلال . يرى الكمال فى شجاعة على لا فى خيال افلاطون . ويرى سجود السماء للقوة جمالا ــ وقد تخيل الشعراء أن انحناء السماء فى رأى العين سجود ــ والنغمة التى لا قوة فيها نفخة ضائعة بل لا يحب أن يجازى الا بنار شديدة الالتهاب ..

حَسبي كمالاً قوةٌ من حيـدر		وكفاكَ من أفلاطُنَ الإدراكُ
وأرى جمالا فى بهاء أن ترُى		فى سجـدةٍ للقوة الأفلاكُ
ولَنغمةٌ من دون نار نفخة		ما الحسن إلا بالجلال يُحاكُ
لا أرتضى نار الجزاء ولم تكن		وهّاجةً ولهيبهـــا درّاكُ

المصوِّر

يرى الشاعر أن المصور وكل ذى فن ينبغى ان يظهر ذاته فيما يصور لا ان يحاكى الطبيعة ، وأن المحاكاة موت .

قلّد الغربَ فنُّ عُجْمٍ وهنـدٍ		عمّ هذى البـلادَ موتُ الخيال

شفَّنى الغمُّ أن بِهزادَ عصرى يُفقَــد الشرقَ بهجةَ الآزال[1]
يا خبيراً بفنِّــه فيه تمّت صنعةُ العصر والعصورِ الخوالى
كم تَرى من خليقة وتُريها ! أرِنا الذاتَ فوق هذى المجالى

الغناء الحلال

يرى الشاعر أن الغناء وكل لحن ، يحل ان كان فيه قوة الذات وحرقة الحياة ، ويحرم ان اضعف الذات ولم يقبس من الحياة ناراً . الغناء يفتح القلب فكيف يفتحه ان أماته . وفى الأفلاك ألحان طبيعية تذيب النجوم ، وتبرىء الانسان من الخوف والغم ، وترفع النفس من العبودية الى السيادة الخ . والنغمة الحية التى يحلها فقهاء الذات لا تزال تنتظر مطربا يعلنها .

تفتح القلبَ نغمةٌ من غنــاء أىَّ فتح والقلبُ رهنُ هُمود ؟
فى صُدور الأفلاك لحنٌ خفىّ صــاهرٌ حرُّه نجومَ الوجود
يهجُر الناسَ منه خوفٌ وغمّ وإيازٌ يســمو إلى محمود[2]
تيهُ هذى النجوم يفنَى ولـكن أنت تبقى ونغمة التوحيـد[3]
قد أحلّتْ شريعةُ الذات لحناً لم يزل فى انتظار شادٍ مُجيـد[4]

---

(١) بهزاد مصور فارسى مشهور نبغ أيام الدولة الصفوية . والشاعر يغتم لأن بهزاد عصره يقلد الغرب فيفقد الشرق البهجة القديمة :

(٢) السلطان محمود بن سبكتكين وخادمه اياز .

(٣) يشبه عالم الكواكب بالتيه ويقول انه يفنى ويبقى الانسان ونغمته الموحدة .

(٤) اللحن الذى أحلته شريعة الذات وهو الذى يحيى النفوس ويقويها لم يظفر به أحد فلا يزال ينتظر مطربا .

الغناء الحرام

ما بذكرى من التصوُّف وَجدٌ — أو برأيي ثوابهم والعذاب
قرَّب الله مذهبي من فقيه — عُرِفَت عنه سنّةٌ وكتاب :
« إن سَرَت في اللحون دعوة موت — حَرُمَ النايُ عندنا والرَّباب »[1]

النافورة

لا يَطَبَّيني مسيرُ النهر مطَّرِدا — مُسايرا تُربَه جنباً إلى جنبِ
دع ذاك ، وانظر إلى نافورةٍ بَسَقت — تُصَعِّدُ الماء منها قوةُ القلبِ[2]

الشاعر

ينفر اقبال من شعر الرخاوة والذلة ويقول هنا : من ضعفت « ذاتهم » فليحترسوا من ألحان العجم فهى تدعو الى الرقة والترف .

ولابد للشعر أن يكون فى حدة السيف ، ملائما لمعركة الحياة مهما تكن صورته ، كالخمر فى زجاجة أو صراحية ، ينبغى أن تكون محرقة . وليس لشوق الشاعر غاية ففى كل حين طور جديد وبرق للتجلى جديد .

فى غابة الشرق ناىٌ يبتغى نَفَسا
يا شاعر الشرق هل فى صدرك النَّفَسُ ؟

---

(١) هذا مذهبه : الألحان التى تميت النفوس حرام .

(٢) لا يعجب الشاعر بالنهر يساير الأرض ، بل يعجب بنافورة قوية تقذف الماء عاليا فى الهواء .

من كانَ فى ذاته من رقّةٍ خَــورٌ

فقل له من لُحُونِ العُجْمِ يحـترِس

إناؤها من زجاج كانَ أو خـزف

اجعل بخمــرك سيفاً لَمعُـه قَبَس

لم تبصرِ الشمسُ من دُنيـا يُخال بها

مَجدٌ بغير الجِــلاد المرءُ يُلتمَس

طُورٌ جـديد ، و برقٌ كلَّ آونةٍ

لا قــرَّب الله للعشاق ما التمسوا

شعر العجم

كم بشعر العُجْم من سِحْر ولـكن
منه سيفُ الذات ذو حدٍّ كليلْ

صَمتُ طيرِ الصبح أولى من غِناء
إن سرى باللحن فى الرّوض ذبولْ

ليس ضرباً مايشقّ الطود لكنْ
ليس منه عـرش بَرويز يميل (١)

ينحت العصرُ أيا اقبالُ ! صخرا
فاحذَرنْ من كل مايبْدِى الوَذيل (٢)

(١) ليس ضربا ما لا يزلزل عرش برويز وان شق الجبل . والاشارة الى قصة فرهاد الذى شق طريقا فى الجبل ولم يظفر بشيرين كما وعده برويز .

(٢) الوذيل جمع وذيلة وهى المرآة . والشطر فارسى من شعر العراقى . ومعناه احذر من كل ما يبين فى المرآة ، أى هذا عصر حقائق لا خيالات ، ينحت الصخور ويحطم كل ضعيف فكل ما بدا فى الزجاج فلا تركن اليه .

أصحاب الفن فى الهند

تخيلُهم جَنازةُ كلِّ عشق ... وظُلمةُ فكرهم للحيِّ قبرُ
وموثنُهم به نقش المنايا ... وليس لفنهم بالعيش خُبرُ (١)
يُنيمُ الروحَ فى إيقاظ جسم ... ودون المجد يُسدَل منه سِترُ
يُسخِّرُ للأنوثة كلَّ شىء ... لهم قصصٌ وتصويرٌ وشِعرُ (٢)

الرجل العظيم

هو فى الحبِّ عميقٌ ... وهو فى البُغض عميقْ
قهره فوق عباد الله ... برٌّ وشفيق
نشأته ظلمةُ التقليد ... بالناس تحيق
غير أن الطبع بالإبداع ... والخَلق خَليق
هو فى المجمع خالٍ ... ومن الحشد طليق
مثلُ شمع الحفل؛ فى الحفل وحيد ورفيق (٣)
مثلُ شمس الصبح؛ فِكرٌ ... فيه نور وبَريق

(١) الموثن – معبد الأوثان .

(٢) الفن الهندى يعنى بالشهوات الجسمية ويفتن فى تصويرها فهو يوقظ الجسم وينيم الروح ، ويسخر كل شىء للأنوثة .

(٣) يكون فى جمع من الناس وكأنه وحده ، له فكره ونظره . مثل الشمعة فى الحفل رفيقة الحاضرين ووحيدة بحرقتها ونورها .

لفظه حـــرٌّ يسير لـكن المعنى دقيق
نظرٌ فيـــه سديد عن بنِي العصر سحيق
ليس يدرى أىُّ حال فيـــه أشياخُ الطريق

عالم جديد

الرجل العظيم يرى فى منامه او خياله عالما جديدا فيعمل عزمه فلا يستعصى عليه أن يحقق فى عالم الحقائق ما رأى فى الرؤيا أو الخيال .

وهذا العالم الجديد الذى يخلقه ناشىء من نفسه ، فهيكله جسمه الصغير ، وروحه تكبيره وايمانه وعزمه .

من كان حىَّ القلب فى الدنيا فما يخفى عليه من القضاء ضميرُهُ
تجلو له رؤياه كونا مُحدَثا بِدعَ المثال يَروقه تصويره
فإذا جَلا صوتُ الأذان منامَه شادَ الذى فى حُلمه تعبيره
ولهيكلُ الدنيا الجديدةِ طينهُ هذا الضئيلُ ، وروحها تكبيره

خلق المعانى

خلقُ المعانى مِن الخلاّق مَوهِبةٌ لـكنَّ للفنِّ فى الفنّان إجهادا
من حرقةٍ فى دَمِ البانى ، مشيَّدَةٌ حاناتُ حافظ آوْزُونات بِهزادا[1]
ما جوهرٌ يتجـلَّى دون مَجهَدةٍ من ومضة الفأس نارت دارُ فرهادا

---

(١) حافظ الشيرازى الشاعر الفارسى الكبير وحاناته شعره . وبهزاد مصور فارسى مشهور عاش فى أيام الدولة الصفوية . والزونات جمع زونة وهى معرض الاصنام أو الدمى يضرب به المثل فى الجمال والزينة .

الموسيقى

دلَّ على بردِ دَمِ المُغـــنّى ... لحنٌ له الوجوهُ لا تُنـــيرُ (١)
أنفاسُ زامرٍ سُمــومُ لحنٍ ... إن كان لم يَطهُرْ به ضمـير (٢)
بالشرق والمغـــرب فى رياض ... من الشقيق شاقنى المسير
فما مررتُ بينهـــا بمـرجٍ ... شقّت به جيوبَها الزُّهــور (٣)

لذة النظر

أيّ ذات حوى فتى الصين مَن قا ... ل لجلاّده أمام الحمامِ :
منظرٌ رائــقٌ ، تمهّلْ ، تمهّلْ ... لأرى لحظةً وميضَ الحسامِ (٤)

---

(١) اللحن الذى لا تنير له وجوه السامعين دليل عــلى برود نفس المغنى وخمود عاطفته ٠

(٢) لابد للمطرب من طهارة الضمير لتكون الحانه صدى الضـمير الطاهر ٠ والا فأنفاسه فى اللحن سم للسامعين ٠

(٣) زهور الشرق والغرب لم يهج بها الطرب فتمزق جيوبها كمـا يفعل من يغلبه الطرب من حزن أو فرح ـ يعنى لم يظهر المطربون أسرار النفس ، ويبدو مكنون الضمير الانسانى ، ولا تزال « الذات » محجوبة ٠

(٤) رجل صينى قام أمام الجلاد والسيف مصلت فلم يشغله هذا المقام عن الاعجاب بوميض السيف فقال للجلاد : أمهلنى لأمتع النفس بهذا المنظر ٠ فهذا يعجب به اقبال أى اعجاب ويرى فيه ذاتا كاملة ٠

الشعر

لم أدر سرَّ الشعر إلا نكتةً ... سِيَرُ الشعوب تُبِينُها تفصيلا :
الشعر فيــه من الحيــاة رسالةٌ ... أبديةٌ لا تَقبــلُ التبــديلا
إنْ كان من جــبريلَ فيه نغمة ... أو كان فيه نفخُ إسرافيــلا (١)

الرقص والموسيقى

إن للشـعر بهجــةً ضاء منها ... روحُ جبريل والرجيمُ اللعــينْ
ومن الموسـيقى ابتهاجٌ وشـوق ... وكذا الرقص نشوَة وفتونْ
قد سمعنا فى الصـين قولَ حكيم ... فيه أفشى مخبّآت الفنونْ :
إن للموسـيقى من الشعر رُوحاً ... ومن الرقص جِسمُها فى العيون

ضبط النفس

دأبُ أهلِ الزمان شكوى الزمانِ ... ليس للحرّ آهــــةٌ فى طِعانِ
قد أسَرّ النجــوى إلىّ عليمٌ ... من شيوخ القلوب والعِرفانِ :
إنّ كَظم النُواح شـيمةُ ليثٍ ... ومن النَوح شِـيمة الثعلُبانِ

---

(١) الشــعر يحمل رسالة من الحياة أبدية ان كان جميلا هاديا كنغمات جبريل (وجبريل رسول الوحى) أو كان فيه صعق وبعث كصوت أسرافيل .

الرقص

دع لأهل الغرب رقصاً بجسوم إنّ رقصَ الروحِ مِن ضرب الكليمْ
فبهذا الرقص سُلطانٌ وفقر وبذاك الرقص همٌّ لا يَريمْ

القسم الخامس

سياسيات المشرق والمغرب

انقلاب

أبمشرق أو مغـربٍ نارُ الحيـاة ونورُها
فهنا تمـوت ذواتُها وهناك مات ضميرها
وأرى القلوبَ لثورةٍ مِلءُ البـلاد زفيرها
فلعلّ دنياك القديمة للمماتِ مَسـيرُها

تملق

العنوان فى الأصل (خوش آمد) وهى عبارة فارسـية بمعنى مرحبا او اهلا وسهلا . ومعناها بالاردوية التملق . وقد كتب اقبال هذه الابيات حينما وضع الانكليز نظام الاستقلال الداخلى لولايات الهند وكثرت مناصب الوزراء فيها .

جهلتُ أمورَ الناس غيرَ مجرِّبٍ ولـكنّ ربَّ القلب للغيب يشهدُ
فقل لوزيرٍ ما بدا لك مادحا فذانك دُستور وعهـد مجدَّد
إذا قال: صقر الليل للبوم مادح فهل ذاك حقٌ أو دِهانٌ يردَّد[1]

المناصب[2]

سِحرُ الفرنجة قد أحاط بمؤمن يا ويح عينى قد همتْ عبراتها
فلعلّ منصبك الرفيع مبارَكٌ فالذاتُ من جَراه حان مماتُها

---

(١) اذا قال أحد المادحين للبومة وهى لا تطير الا ليلا انها صقرا لليل فهل هذا حق أو ملق ؟

(٢) هذه الابيات قيلت فى الأحـوال التى أنشئت فيها الابيات السابقة .

هذى القضية معضِلٌ إخفاؤها وضَحتْ لكل مفكرٍ آياتُها :
« لاشِرْكَ فى حكمٍ لعبدٍ إنما شُرِيت عقولهُمُ وخاب شُراتُها »(١)

أوروبا واليهود

اقبال توفى سنة ١٩٣٨ فهو لم يشهد حرب فلسطين ولم ير تسلط اليهود على أوربا وأمريكا كما رأينا · ولكنه نظر الى الحوادث نظرة عارف خبير ·

نظام ومالٌ وعيشٌ رغيـدٌ وظُلمة صَدر لها القلب يَقلي
دخان المصانع فى الغرب داجٍ فواديه ليس بأهل التجلّى
رأيتُ حضارته فى احتضار تموت اعتباطاً، وما الموت يُملى(٢)
فليس غريباً تولّى اليهـود كنائسـه بعد هذا التولّى

عبودية الأنفس

لا تخلو الامم الذليلة من شعراء وحكماء وعلماء يسلكون مسالك شتى الى غاية واحدة هى أن يروضوا الامة على الخضوع ، ويمحوا من سجاياها الاقدام حتى ترضى بالرق ، هذا مقصدهم وكل تأويل فى القول تحيل لهذا المقصد ·

ليس يخلو زمانُ شعب ذليل من عليم وشاعرٍ وحكيمٍ
فرّقتهم مذاهبُ القول لكن جمع الآراء مقصدٌ فى الصميم :

(١) الامم المحكومة لا يمكن ان تشارك حاكميها فى الحكم مهما وضعوا لها من نظم · شريت : بيعت والشراة البائعون ·

(٢) تموت فى شبابها ، والموت لا يمهل ·

«علّموا الليثَ جفلة الظبي وامحوا قصص الأُسْد في الحديث القديم[1]»
همُّهم غبطة الرقيق برقٍ كلُّ تأويلهم خداع عليمِ

الروس الشيوعيون

إن سَيرَ القضاء جدُّ عجيبٍ أيُّ سِرٍّ حوى ضميرُ الزمان
ليس يألو الصليبَ سراً قبيلٌ كان يرجو النجاةَ بالصُلبان
أم الوحيُ مُلحِدي الروس «هُدّوا ما أقام القسوسُ من أوثان»

اليوم والغد

مَن عَداه ليومِه في جهادٍ نورُ نفس وشُعلة في الكُبودِ
ماله الحقَّ في مَتاع وهمٍّ يستسرّان في الغد الموعود
ليس أهلا لمعرَكِ الغدِ مَن في سيره (اليومُ) ليس بالمعدود

---

(١) في هذا البيت مقصد القائلين المذكورين في البيتين السابقين .

المشرق

جَيبُ الشقائق من شَدوِى غـدا مِزَقاً
ونسمةُ الصبح رَوضاً تطلب الآنا[1]

ما « مصطفى » أو « رضا » جَلّى حقيقتها
فالروح فى الشرق جِسماً تطلب الآنا[2]

وحقُّ ذاتى عَقابٌ غـيرَ أنّ لها
ذا العصرُ جِذعا وَحبْلاً يطلب الآنا[3]

سياسة الافرنج

يا رب نِدّك فى غربٍ سياستُه ... وما تعبّد إلا الهامَ والرُوسا[4]
خلقتَ إبليس فرداً من لظى لهب ... ومن تُرابٍ أقامت ألفَ إبليسا

---

(١) انا شدوت حتى مزقت شقائق النعمان جيوبها وجدا . ونسيم الصبح لا يزال يطلب روضا ينضر أزهاره .

(٢) لا مصطفى كمال ولا رضا بهلوى كان مظهرا لروح الشرق فهى تطلب الآن بدنا تظهر فيه .

(٣) وذاتى تستحق العقاب بما دعت الناس الى اليقظة والحرية ، ولكن العصر لا يزال يطلب حبلا وجذعا ليصلبنى ليس قادرا عـلى صلبى .

(٤) الروس أى الرؤساء ، أى لا يعبد هذه السياسة الا رؤساء أوربا وحكامها .

العبيـــد ...

تعلمتُ بين الغرب والشرق حكمةً أراها لأهل الرقّ أجدى الفوائدِ :
فلا ملكٌ أو فقراً ودينا وحكمـة يؤسس إلا فوق صخر العقـائد
فإما خلا منها ضمـيرُ جماعة فأفعال رعـديد وأقوال هامـدِ

إلى أهل مصر

من أبي الهـول أتتني نكتة وأبو الهول طوَى السرّ القديم[1]
بدّلتْ سيرَ شـعوب جمـله قوّةٌ لم يجفُها العقلُ الحكيم
طبعُهـا في كل عصر ماثلٌ يُبدِلُ الشكلَ ويَبقى في الصميم
فهي طوراً في حُسام المصطفى وهي طوراً في عصا موسى الكليم

الحبشـــة

(١٨ آب سنة ١٩٣٥)

عِقبانُ أوربّا بغـير علم في جيفة الأحباش أي نهمْ !
قد آن للمَيتةِ أن تجيفا
حضـارةٌ تكملُ بالمَخزاة وعيشُ أقوام على الغارات
وكلّ ذئبٍ طاردٌ خروفا
وجهُ الـكنيسة اكتسى شَنارا وروما أراقت ماءه نهـارا
يا بابُ قد أضحى الورى أسيفا[2]

---

(١) أبو الهول : رمز العقل والقوة ، رأس انسان على جسم أسد ·
(٢) يعنى البابا رئيس الكاثوليك ·

أوامر إبليس إلى أبنائه الساسة[1]

يصـــور الشـــاعر فى هذه الابيات عمل الساسة باوامر أبيهم ابليس · وانما يأمرهم بابعاد أهل الأديان كلها من الدين ولا ســيما المسلمون ، هؤلاء الصابرون المستميتون . وقد خص العرب الذين نشأ الدين فى حضانتهم والافغان الذين تسيطر عليهم حمية الدين الخ ·

ثم أوصاهم باخراج اقبال من الروض لان نفسه يشعل الحقائق اى يثير النار فى الشباب فيبعدهم عن سياسة ابليس ·

عليـكم بالـبَرَهْمَن فاربِكوه ... بأشراكِ السياســة والحبالِ
وأصحـابَ الزنانير اطردوهم ... من الدَّيرِ القديمِ بالاحتيالِ
وذلـكم الصبورُ على الرزايا ... ومَن هو بالمنايا لا يبالى[2]
فروحَ محمـد منه اسـلبوه ... لتعملَ فيه أحـداثُ الليالى
وفى العَرب اقذفوا فى كل فكر ... من الأفرنج ألوانَ الخيـال
بأرض العُرْب للاسلام كيدوا ... ليُسرع فى الحجاز إلى الزوال
وفى الأفغان بالدين اعتصام ... وليس عِلاج هـذا بالمحال
عليكم بالفقيــه فأخرجـوه ... من الأرض المنيعة والجبال
وقُوّاماً على الحرَم اسـلبوهم ... لهم سُنناً تحيـد عن الضلال[3]

---

(١) كتبت فى شيش محل ، دار أمير بهوبال ·

(٢) ذلكم الصبور الخ يعنى المسلم ·

(٣) يريد بقوام الحرم من تولى هداية المسلمين الى دينهم فى الحرم وغيره ·

غزالَ المسك من ختنٍ أثيروا وخلّوا الأرض من هذى الغوالى (١)
وإقبالٌ له شـدْوٌ مثـير به زَهَر الشقائق فى اشتعال
من المرج اطردوا هذا المغنّى لتحموا الناس عن هذا المقال

جماعة الأمم الشرقية (٢)

سُخّر المـاء والهـواء مسخَّرْ ليس بِدعاً إن القضاء تغيّرْ
جبروتُ الفـرنج غرَّته رؤيا علّها غـيرَ ما رآه تُعـبَّر
إنْ جِنيوَا للشرق طهرانُ صارت فلعلّ التبـديل للأرض يُقدَر

الملك الخالد

إنى لَغوّاص المعـانى فِطرةً لـكننى بحرَ السياسـة أحذرُ
ماإن يُحبُّ الدهرُ مُلكا خالداً ولوَ انّ فيه من الرُؤى ما يسحَر
فَرهادُ أبقى الدهرُ نحتَ صخوره لم يَبقَ من پرويزَ مُلكٌ يُؤثَر

---

(١) بلاد ختن فى تركستان كانت معـروفة بمسكها، وغزال ختن مشهور فى الشعر الفارسى وما يتصل به .

ويريد الشاعر أخلوا الارض من المعانى الجميلة التى تعطرها . أى أخلوا بلاد المسلمين من السنن القويمة والآمال العالية .

(٢) كتبت فى شيش محل (دار أمير بهوبال) .

الجمهورية

بدا السر فى قولة من أريبٍ وما كان مِن قبله يُعلنُ : (١)
نظام الجماهير حُكمٌ به تُعَدُّ العِبادُ ولا توزَنُ

أوربا وسوريا

أهدت الشام إلى الغرب نبيّا هو عَفٌّ ومُواسٍ وصَبور
ومن الغرب إلى الشام هَدايا من قِمار ونساء وخمور

من موسوليني

(إلى أنداده فى المشرق والمغرب)

أرى العصر يأبى من مُسولينَ جُرمَه وأخيارُ أوربا علىَّ غِضابُ
كلانا بآلات التمدنِ آخذٌ أتنقم أفعالَ السيوف حِرابُ
وقد نقَموا منِّى غرامَ تَملُّكٍ أما ثار منهم بالضعاف ضِراب
لِمَن شعبذاتُ الحكمِ تُبقى ممالكاً ولا مُلكَ أو ملكٌ بهن يُصاب
أينفخُ فى الأعواد أبناء قيصرٍ ويُجبَى إليكم عامر ويباب (٢)
نهبتم خيامَ البدو والزرعَ والقرى وكم كان منكم للعُروش نِهاب
قصَدنا من التمدِين قتلاً وغارة أأمسُكم فخرٌ ويومىَ عابُ ؟

(١) ستندل .

(٢) يشتغل أبناء الرومان بالزمر والموسيقى وغيرهم يملكون الارض ويضربون الخراج حتى على الصحارى .

شكوى

مستقبلَ الهند من يدرى ؟ وما برحت
يا ويحها ، درّةً فى التـاج تُرتَهن [1]
دِهقانها من ظلام اللحـد مطّرحَ
ولم يزل مِزَقاً تحت الـثرى الـكفَن
الجسم والروح للبـاغين قـد رُهنا
لم يَبق فى أرضها دار ولا سـكَن
رضـيتَ رقًا لأوروبا بـلا أنَفٍ
فمنك شـكواى لا منها ، وبى حزن

انتداب

مَلكُ الحضارةِ أين يُحتم سَيرهُ ؟ | فى عصرنا هـذا السؤال يسيرُ :
فى حيثُ لا خمـرٌ ولا قمْرٌ ولا | ضِيقُ الثيـاب على النسـاء يجور
والروحُ فى بدنٍ قويٍ خافقٌ | لـكن على سَنَن الجـدود يسير
حيثُ المـدارس غائضٌ ينبوعهـا | وابن البـداوة فى الذكاء جَسور
يُفتى جهـابذةُ الفرنجـة أنمـا | هذى البقاعُ من التمـدّن بُور [2]

(١) كان الانكليز يقولون ان الهند أثمن درة فى تاج الامبراطورية .

(٢) حيثما وجد الناس على الاخلاق القويمة والفطرة السليمة قال الفرنج هذه الارض فى حاجة الى التمدن فارسلوا اليها ملك التمدن باسم الانتداب .

السياسة اللادينية

ما الحقّ مخفٍ عن فؤادىَ سِرّه — فلقد حبانى الله قلباً مُبصراً
فسياسة اللادينِ عندى خِسّة — مات الضميرُ بها و إبليسُ افترى (١)
لمّا قلَى حكمُ الفرنج كنيسةً — ساسوا كشيطان بلا قيدٍ جرى
شَرِهَتْ لأموال العباد كنيسةٌ — فإذا الخميس سفيرُها بين الورى (٢)

شبكة التمدين

أمانتُها علَتْ عن كل ريب — و إقبالٌ مُقِرّ دون نُكرِ
فأوربا نصيرة كل شَعب — تشكّى الدهرَ من ظلم وضُر
كرامات القساوس أن أضاءوا — سراجَ الكهرُباء بكل فِكر
ولكن مِن فلسطينٍ بقلبى — وللشام الكسيرة حرُّ جمر
وتلكم عُقدة ليست لحل — تُلاقى كلَّ تدبير بعُسر
من الترك الجُفاة نجوا فلاقوا — بأشراك التمدّن شرَّ أسر (٣)

---

(١) ابليس افتراها .

(٢) الخميس — الجيش .

(٣) فى هذا استهزاء : يقول ان أوربا ادعت أنها أنقذت الشام وفلسطين من قسوة الترك ولكنها اوقعتهم فى شر اسر .

نصيحة

قال لُرْدٌ من الفرنج لنَجلٍ — أبغ مَرأىً يدوم فيه المراد [1]

أظلَمُ الظُّلم المساكين إعلام — خِرَافٍ شريعة الآساد [2]

إنّ الملك سِرّه فا كْتمنْهُ : — لا ترُم بالسيوفِ قهرَ العباد

وبمحض التعليم فاغمِس نفوساً — ثُمّ صُغ طينهــا وفاقَ المُراد

أين منه الاكسير ؟ هذا محيلٌ — جَبلَ التبرِ كومةً من رَماد

قرصان واسكندر

اسكندر :

جزاؤك في سلاسلك ارتهانٌ — أو التصميمُ من سيفى العتيقِ [3]

فقد صيرتَ وُسعَ البحرضيقاً — بما أمعنتَ فى قطع الطريق

القرصــان :

سِكندرُ ! للفتوة لم توفّقْ — أيجمُلُ بالفتى فضحُ الرفيقِ ؟

فإنّ القتل دأبى لا أمارى — كذاك القتل دأبك ياصديق

كلانا اليوم قرصانٌ : ببرّ — تَصول ، وصُلتُ فى بحرٍ عميق

---

(١) أطلب المنظر الذى لا تنتهى منــه العين ، أى المطمع الذى لا يحد .

(٢) أظلم الظلم أن تعلم الغنم سيرة الأسد أى تعلم الأمم الذليلة طريق الحرية والقوة .

(٣) صمم السيف أصاب المفصل فقطعه .

عصبة الأمم [1]

مِسكينةٌ منذ زمان تُحتضرْ   لافاهَ مِقولى بسيِّىء الخبرَ [2]
وموتُها محتّمٌ لكنما   يدعوالقسوس أن يزولَ ذاالخطر
عجوزُ أوربا يجوز عيشُها   على رُقَى إبليسَ أياماً أُخر [3]

الشام وفلسطين

مَرحَى لحانات الفرنج فقد   ملأت بهنّ زجاجها حلبُ
إنْ فى فلسطين اليهودُ رجَتْ   فليأخذَنْ أسبانيا العَربُ
للانكليز مقاصدٌ خفيت   ما إن يُراد الشَهد والرُطَب [4]

أئمة السياسة

ما رجائى بساسة قد أسفّوا   و إلى الأرض أخلدوا إدراكا
نظراتٌ إلى ذُباب ونملٍ   فهمُ العنكبوت مدّتْ شِباكا
حبّذا الركبُ قد هداه أمير   ذُو مرامٍ تُجاوز الأفلاكا

---

(١) العنوان فى الأصل جمعيت أقوام .

(٢) يعنى لا أود أن أخبر بموتها .

(٣) الظاهر أن الشاعر نظم هذه الأبيات حينما كانت عصبة الأمم فى آخر سنواتها .

(٤) بلاد العرب كلها معروفة فى الهند بالنخل، ويقول الشاعر ليس قصد السياسة الانكليزية ما تعلن من عمران البلاد بل لها مقاصد خفية .

نزعات العبودية

بأسبابِ سُقم الشعوب خَفاء يقصّر فى شرحهن البيانْ :
بشرع الأسود إمام العبيد يرى دائماً حِكمةَ الثُعلبانْ (١)
كليمُ الإله يُرى لعنةً على قومه فى خُطوب الزمان
إذا كان فى السرّ هذا الكليمُ لقوّةِ فرعونَ طوعَ البنان

صلاة العبيد

جاء الى لاهور وفد من الهلال الأحمر التركى فصحبهم اقبال فى صلاة بالمسجد الكبير فاطال الامام الصلاة فسأل أحد رجال الوفد لماذا يطيل الصلاة امامكم هذه الاطالة فكتب اقبال هذه الأبيات :

قال بعد الصلاة خِلفَ جهاد : كم يطيلُ الصلاةَ فيكم إمامُ
ما درى ذا كمُ المجاهد المؤمن الغرّ صلاةُ العبيد كيف تقامُ
كم لدى الحُرّ فى الحياة كفاحٌ غَيرةُ الحرّ للشعوبِ قِوام
حُرِم العبدُ حرقةَ الكدّ عجزاً فعلى وقتِه المُضيّ حَرام
لا تَعجّبْ إذا أطال سجوداً ما لديه سوى السجود مُرام
رَبِّ وفّقْ أئمةَ الهندِ يوماً لسجود تحيا به الأقوام

---

(١) أسباب مرض الامم أئمة أذلة يرون فى شريعة الاسود فلسفة الثعالب، كالذين حادوا بالمسلمين عن شريعة الحياة والقوة الى مذهب الخنوع والاستكانة . والحكمة هنا الفلسفة ، والثعلبان الثعلب الذكر .

إلى عرب فلسطين

لا يزال الزمانُ يَصلَى بنار ... لم تزل فى حَشاك دون خمود (١)

لا دواءَ بلندن أو جنيوا ... بوريد الفرنج كفُّ اليهود (٢)

ومن الرقّ للشعوب نجاةٌ ... قوةُ الذات وازدهار الوجود

الشرق والغرب

علّة الشرق ذِلةٌ واقتداء ... ونظامُ الجمهور فى الغرب داء

مَرضُ القلب والبصيرةِ فاشٍ ... ما بِشرقٍ ولا بغَرب شفاء

نزعات التسلط

(إصلاحات)

أرى رحمةَ الصياد سِتراً لقهره ... ولم يَجدِ فينا ذا الصفيرُ المجدَّد (٣)

وقد زيّن الأقفاصَ بالزهر ذابلا ... لعلّ أسيراً للاسار يُغرّد

---

(١) يعنى أن النار التى سرت فى الزمان من تاريخ المسلمين لا تزال فى نفس المسلم لم تخمد .

(٢) يعنى يقبض اليهود على وريد أوربا .

(٣) يقصد الشاعر ما دعاه الانكليز اصلاحا حين جعلوا للهند نوعا من الحكم الداخلى ، يقول :

ما يزال الصياد قاسيا وان تظاهر بالشفقة ولا يرققه أن تجدد له غناء . وانما همه أن يرضى الاسير فهو يزين الاقفاص بزهور لا نضرة فيها لعل الطائر يرضى بقفصه .

القسم السادس

أفكار محراب جل الأفغاني

للشاعر بالافغان اعجاب لقوتهم وبسالتهم ، واعتزازهم بجبالهم وحميتهم الاسلامية .

وقد تخيل أن شاعرا منهم اسمه (محراب گل) أنشأ هذا الشعر الذى فى الصفحات التالية ، يبين عما فى نفوس هؤلاء الناس وما فى معيشتهم كما يريد اقبال ..

- ١ -

يا جبالى أيانَ عنكِ المسيرُ   وترابُ الآباء هذى الصخورُ
لا زهورٌ ولا صدى عندليبٍ   فيك منذ الآزال تأوى الصقور
جنّتى فيك مُحرّمٌ وشعاب   ماؤك النور ، والترابُ العبير
لن يكون الشاهينُ عبدَ بغاثٍ   ألحفظ الأبدانِ روحى أبير
خلعة الانكليز أم سُحْقُ ثوْبٍ   إيه فقرى الغيور ! ماذا تشير ؟

- ٢ -

تنافرُ الناس دائم أبداً   لستُ ولا أنت القضاء فصّله
فى الذات غُصْنٌ ، للزمان ذا أمَلٍ   دواؤُه فى الجروح أرسله
تبقى على الدهر واحداً بطلاً   إن كان فى القلب « لاشريك له »

- ٣ -

يجوز أن تُبدَل أنتَ ، لا تخَلْ   بدعوة أن القضاء يُبدل
إذا سرى فى ذاتك انقلابها   فجائز أن القضاء يُبْدَل
يبغى الشراب والفِناء إذ ترى   رسم « السُّقاةِ » والإناء يبدل
تدعو بتحقيق الرجاء جاهداً   ودعوتى أن الرجاء يبدل

- ٤ -

وما فلك جائرٌ فى السيرْ   وماذا ذكاء وماذا القمرْ ؟
أرى ركبها جاهداً فى المسير   وأقصدها طولُ هذا السفر

سكندرُ زمجرَ كالرعد حيناً وعندك يا موتُ صدقُ الخبر
وعاثت بدهلى يدا نادرٍ بضربة سيف حكى فاختصر (١)
وتبقى الجبالُ وأفغانها لك الملك والحكم ربَّ القُدَر !
تُذلّ الحوائجُ صيدَ الرجال ترى الليث كالثعلب المحتقر
إن الذاتُ أيدها فقرُها فعندى وعندك مُلك البَشر
قِوامُ الشعوب بحرٍ فقيرٍ إلى سُدّة المُلك ما إن نظر

— ٥ —

مدارسُ ثم ضوضاء ولهوٌ وغمٌ دام فى العيش الوفير
وسمٌ الحر هذا ليس علماً إذا كان الجَدَى كفَّ الشعير (٢)
وما أدب وفلسفة غناء قِوام الفنّ فى جَهد المسير (٣)
تحكمَ فى الطبيعة ربُّ فنٍ يضيء الليل كالصبح المنير
فربُّ الفن مِن بركات فنٍ يطوعُ لحكمه كلُّ العسير
وذلك إن يشأ قطرت عليه أياةُ الشمس كالطل النضير (٤)

---

(١) نادر شاه ملك ايران وأفغانستان ، فتح دهلى وتوفى سنة ١١٦٠ هـ .

(٢) العلم الذى جدواه كف من شعير أى متاع قليل ، ليس علماً ولكن سماً للاحرار .

(٣) الفن بالجهد المستمر لا بالادب والفلسفة .

(٤) رب الفن ان شاء قطرت عليه أياة الشمس (أى شعاعها) كالندى فجعلها مادة فنه ..

- ٦ -

عالَم التجـــديد إن يظفرْ بحُرّ	موجِدٍ من حوله طاف الزمانْ
لا تدعْ ذاتَك بالتقليـــــد لَغواً	جـوهرٌ فردٌ فحُطْه بصِوانْ
باركَ التجـــديدُ قوماً ليس فيهم	غيرَ حفلِ الأمس،ذكرى وعِيان (١)
خشيتى أنّ وغى التجديد فى الشرق	على التقليـد للغرب دِهانْ

- ٧ -

تبدّل الأقـوامُ فى البُـــلدانِ	فى الروم والشام وهندُستانْ
يا ابن الجبـالِ هُبّ للزمانْ	وأدركن ذاتَك بالعـرفانِ

ذاتَك بالعرفانِ
يا غافلَ الأفغانِ

ذا موسم وماؤه عُبـــــابُ	وعَسجداً يُنبتُ ذا الـترابُ
من لم يروّ زرعَـه احتســاب	فـكيف يدّعى الغِـرُّ بالدهقان

ذاتك بالعرفان
يا غافلَ الأفغان

(١) التجديد بركة لقوم لا يذكرون ولا يرون الا صور الماضى .

ما لم يهج في موجـــه الزخّارِ فأيُّ بحـر ذاك في البحــار ؟
ما ليس فيه ثــورة الإعصــار فكيف يدعى عاصفَ الأكوان

ذاتك بالعرفان

يا غافل الأفغان

من اهتــدى ونفسَه أصابا مقلّباً في طِينـــه الترابا
فخرُ ذا العبدِ الذي قد طابا يُفدَى بكل الجاه والسلطان

ذاتك بالعرفان

يا غافل الأفغان

جهلك هــذا ما به من عارِ قد صــيّر الجهلَ من الفَخار
كم عالمٍ فاضــلٍ ممــارى متاجرٍ بالدين والإيمان

ذاتك بالعرفان

يا غافل الأفغان

— ٨ —

يدّعى الزاغُ أن ريشَك قُبح ويقول الخفاش : أعمى جهول
مارُذال البُغاثِ ياصقرُ! تدرى في عَنان السماء كيف تصول
كيف تدرى بحال طائرِ عزمٍ كلُّه في المطار عينٌ تجول

— ٩ —

لا يسُفَّ العشقُ دأبَ الهوسِ　　بذبابٍ بازياً لا تَقِسِ
ربَّ روض حال حتى لِيَرى　　عندليبٌ عشَّه كالمحبِس
مُزمعُ الأسفار لا يبغى صَدًى　　من أذانٍ برحيل الغلَس
أترى قافلة الموج لها　　فى مسير حاجةٌ بالجرَس
خدعَ العينَ فتى مدرسةٍ　　فبدت فيه حياةُ الأنسِ
وهو ميْتٌ ومن الغرب اجتدى　　ما سرى فى صدره من نفَس
إن تُرِد تربيةَ القلب فمِن　　نظر المؤمن شَزْراً فاقبِس

— ١٠ —

سوادُ عيون عِتْرته فَتىٌّ　　حليفُ طهارة وفَتى ضِرابِ
يُرى فى السلم ظبياً ذا جمال　　وفى يوم الكريهة ليثَ غاب
به نار تُحرِّق كل شىء　　وحَسبُ الغابِ من شَرر الثِقاب
حباه الله أبَّهة ومُلكا　　بفقرٍ حيدرىٍّ واحتساب
سبيلُ التاج حسر الرأس عنه　　فلا تنظر إليه بارتياب (١)

(١) وهو حاسر الراس ولكنه طموح الى التاج أو هو فى همته وعزته كصاحب التاج فلا تحقره بانه حاسر .

— ١١ —

في بارحاتك لألأت أنـواره يَسطِيع نُوراً ذا السراجُ الخابي (١)
يشكو الضعيفُ من الزمان صُروفَهُ والحرُّ فيـــه باسِمٌ لِخراب
من صوت طيرِ الصبح يدهش ذا الفتى أتراه أهـلَ تطاعنٍ وضِراب
حذرى لأنك فى طِبـاع طفولة والغربُ تاجر سُكَّرٍ وجُلاب (٢)

— ١٢ —

بــلادينٍ ولاتينٍ هوَتْ فى الفـخِّ رجلاه (٣)
دواء العـاجز المغلوب « لاغـلاَّبَ إلا هُو »
وصـيّادُ المعانى ما رَجَتْ فى الغَرب عينـاه
فضـاءٌ مونِقٌ لـكن غزالُ المِسك خَلاَّه (٤)
يقوِّم ذاتـه سَـحَراً بدمع العـين أوّاهُ (٥)

---

(١) هذا السراج الخابى هو الذى أضاء لك البارحة فهو اهل لان يضىء مرة أخرى . يعنى الاسلام .

(٢) يخاف على المسلم أو الشرقى لان فيه طبع الطفل يحب السكر والجلاب . واوربا تحسن التجارة بهما ، فهو يتهافت على تجارتها .

(٣) يشير الى مصطفى كمال واتباعه سياسة لادينية ، واتخاذه الحروف اللاتينية للغة التركية .

(٤) لا يجد صياد المعانى فى أوربا غزالا مسكيا يصيده فانما هى فضاء لا صيد فيه . أى لا يجد المعانى الجميلة التى يحبها .

(٥) الأواه : المتعبد الرقيق كثير الدعاء

فهذا الزَّهْر أحسَنُه ... على الأمواه تلقاه
ودَيْر الكون ، زُونُ الريح والألوان معناه (١)
على الكُفار مُستَولٍ ... وذو الايمان مولاه
إمامَ المسجد ! امنعه ... أميراً حين يغشاه
زوى المحراب حاجبه ... ولم تُعجبْه تقواه (٢)

— ١٣ —

دنياك فى عينىَّ شىءٌ آخرُ ... أنَّى لعينك ـ ليت شعرى ـ تَظْهرُ
ماذا التقلّبُ فى عقول شبابنا ... فى كل صدر قد تبدَّى مَحْشَر
شيخَ المساجد! ماءُ عاؤك سُخْرة ... أبه الحياةُ بلا جهادٍ تَظفَرَ (٣)
ماء «الذات» يُرجى فى رِباطٍ خَلقُها ... هل للشرار من الرماد تَسَعُّر (٤)

— ١٤ —

كل عشق دون إقدام هوى ... ويد الله بعشق مخطر
ويلتا من ترف ! أين فتىً ... تخِذَ الأهوالَ زاد السفر
خَلوةُ الاطواد ليست وَحشةً ... يعرف «النفس» بها ذو البصر

---

(١) هذا العالم الذى هو معرض لاصنام من الالوان والروائح ، يستعبد الكفار ولكنه مسخر للمؤمن .
(٢) تخيل زاوية المحراب تقطيبا لصلاة أمير ليس فيها معنى الصلاة .
(٣) فى الأصل شيخ الحرم . والمراد به المساجد عامة .
(٤) الرباط مقام الصوفية . وفى الأصل خانقاه .

— ١٥ —

عِلمُ فقرٍ لسالكٍ غيرُ صعب — حدّث الناسَ عن هُداه الضميرُ
لا يكون الفولاذُ جوهرَ سَيفٍ — إن يكن فى الطباع منه حرير
إنّ قَهر الإله فقرٌ ذليلٌ — وسبيل السلطان فقر غَيورُ
قد سباكَ الفرنجُ نفساً ولكن — أنت يامؤمن البشير النذير (١)

— ١٦ —

مَوتُ الشُعوب بُعدُها — عن جَذَبات المركزِ
والذات إما رُكزت — فللمعالى تُركَزِ
فقر تراه شاكياً — جور الزمان اللحز
باق عليه مسحة — من اجتداء الكَرَزِ
ولم يزل ميسّراً — للبرّ فعلُ المعجزِ
أن يجعل الصخور كالذ م — رّات غير مُعجَزِ (٢)
فأين يا مؤمن أنت — اليوم لم تُبرَزِ
ما فى جهاد لذةٌ — جَمْرُك فيه مُعوزى (٣)

(١) جاء هذا المصراع فى الأصل بالفارسية .
(٢) لا يحول دون همة الحر شيء من عالم المادة فهو يحيل الصخور ذرات فلا تكون فى طريقه عقبات .
(٣) ليس فى الجهاد لذة ما لم تكن فيه حرارة الايمان • وجمر المؤمن يفتقد اليوم فى الجهاد •

ياشمسُ من سرادق المشــرق هيّـــا فابرُزى
واكسى جبـالى حُلّةً تزُهَى بلون القرمز

— ١٧ —

إنْ يكن فى الألوف ربٌ يقينٍ نفَخَ النارَ فى شَـبـاب وشِيبِ
ربما تنشىء الصـحارى فقيرا يخلقُ الدرّ من حصىً فى الجيوب[١]
بيراع لك اكتبْن لك حظّا لم يَخُطّ الجبينَ ربُّ الغيوبِ[٢]
ذا الفضــاء الذى يُسمّى سماء ليس شيئاً لدى العُقاب النجيب
هو فوق الرؤوس يدعى سماء وهو أرض تحت الجناح الهَبوب

— ١٨ —

أى قولٍ لشيرشاه رشــيد : فى اختلاف القبيل ذلّ العبيد[٣]
خلعوا ثوب أمــة جَمعتْهم وازدهوا بالوزير والمحسـود[٤]

---

(١) الجيوب وجه الأرض . وهو يشير الى الرسول صلوات الله عليه وسلامه .

(٢) اكتب حظك بقلمك فالله تعالى لم يكتب على جبينك مستقبلك كما تزعم .

(٣) شيرشاه أحد أمراء الأفغان .

(٤) الوزيرى والمحسود من قبائل الأفغان فى اقليم الحدود من باكستان .

ذهب الدين فى الجبال شعاعاً كل حزب لبُده فى سجود[1]
حَرَمٌ فيه حُرمة اللات ترعى فحباك المولى بضرب سديد[2]

- ١٩ -

ليس الذى يُدرك الألوانَ بالبصرِ
بل مُغْتَنٍ عن ضياء الشمس والقمر[3]
يا مؤمناً قد شأى الإفرنج منزلةً
تَقَدَّمَنْ . ليس هذا مُنتهى السفرِ
وحانةُ الغرب للصادى مفتّحة
ما السكر فيها بعلم العصر بالنُكُرِ
لك المماتُ بهذا السكر مُستترٌ
إن لم يكن فيك للتوحيد من شَرَرِ[4]

---

(١) البد . الصنم .

(٢) هذا حرم ولكن فيه أصنام . فالله يوفقك لضرب تكسر فيه الأصنام كما كسر الرسول اصنام الكعبة .

(٣) ليس بمبصر الذى يرى الألوان ، بل ما أدرك الحقائق والأسرار التى لا يحتاج فى رؤيتها الى الشمس والقمر .

(٤) لا ضير فى ان تأخذ علوم العصر وتنتشى بها ولكن الهلاك فيها أن تغفل بها عن الايمان والتوحيد .

هل يَسمعنّ بنو الخانات موعظتى
في شملة لست ذا تاج ولا سُرُرِ ؟[1]

— ٢٠ —

مقـاصد الفطرة العليـاء يحفظها
مَن عاش فى البيد أو فى الطود إنسانا

يراقب السِحرَ فى التمدين يُبطله
فى فقره أودع الخلاقُ سُلطانا

للحسن واللطف صاغَ الروضُ بلبلَه
وتُنشىء البيد للاقدام عِقبانا

ياشيخُ كم تُعجِبُ الأبصارَ مدرسةٌ
لكنَّ فى البيد فاروقاً وسلمانا[2]

هل يعرف الدهر للإسلام من شَبه
فى نشوة تتحدَّى السيف غضبانا

---

(١) الخانات جمع خان . ومعناه الامير . يعنى يسمع هؤلاء الأمراء قولى وانا فى ثياب خشنة لست ملكا ولا أميرا .

(٢) يعنى الأصحاب الكرام مثل عمر الفاروق وسلمان الفارسى .

فهرس

مضمون	صفحة	مضمون	صفحة
الى جلالة الفاروق		الاسلام	١٩
مقدمة	ا	الحياة الأبدية	٢٠
مدخل الكتاب	و	السلطان	٢٠
كلمة الأستاذ احمد برويز	س	الى الصوفى	٢١
الى القارئين	٣	صريع الفرنج	٢١
تمهيد	٥	التصوف	٢٢
القسم الأول ـ الاسلام		الاسلام الهندى	٢٢
والمسلمون	٧	قطعة	٢٣
الصبح	٨	الدنيا	٢٣
لا اله الا الله	٨	الصلاة	٢٤
الاستسلام للقدر	٩	الوحى	٢٤
المعراج	٩	هزيمة	٢٥
الى سيد مصاب بالفلسفة	١٠	العقل والقلب	٢٥
الأرض والسماء	١١	سكر العمل	٢٥
اضمحلال المسلمين	١١	القبر	٢٦
العلم والعشق	١٢	همة القلندر	٢٦
اجتهاد	١٣	الفلسفة	٢٦
شكر وشكوى	١٤	رجال الله	٢٧
الذكر والفكر	١٤	الكافر والمؤمن	٢٨
شيخ الحرم	١٤	المهدى الحق	٢٩
القدر	١٥	المؤمن	٢٩
التوحيد	١٥	محمد على الباب	٣٠
العلم والدين	١٦	القدر	٣١
المسلم الهندى	١٦	اى روح محمد	٣٢
على ذكر الاذن بحمل		مدنية الاسلام	٣٢
السيف	١٧	الامامة	٣٣
الجهاد	١٧	الفقر والترهب	٣٤
القوة والدين	١٨	قطعة	٣٤
الفقر	١٨	التسليم والرضا	٣٥

مضـــمون	صفحة
نكتـة التوحيـد . . .	٣٦
الالهـام والحرية . . .	٣٦
الروح والجسـم . . .	٣٧
لا هور وكراجى	٣٧
النبـوة	٣٨
الانســان	٣٩
مكة وجنيـوا	٣٩
يا شيخ الحرم	٣٩
المهـدى	٤٠
المؤمن	٤١
المسلم البنجـابى . . .	٤٢
الحـرية	٤٢
نشر الاسلام فى بلاد الأفرنج	٤٢
لا والا	٤٣
الى امراء العـرب . . .	٤٣
الأحكام الالهية . . .	٤٤
المـوت	٤٤
قم باذن الله	٤٥
القسم الثاني ــ التعـليم والتربيـة	٤٧
المقصود	٤٨
انسان هذا العصر . . .	٤٨
امم الشرق	٤٩
التنبـه	٤٩
مصلحو الشرق . . .	٤٩
الحضـارة الغربيـة . .	٥٠
اسرار ظاهرة	٥٠
وصية السلطان تيبو . .	٥١
قطعـة	٥٢
اليقظـة	٥٢
تربيـة الذات	٥٣
حرية الفكر	٥٣
حيـاة الذات	٥٣
حكومـة	٥٤
المدرسـة الهندية . . .	٥٤
التربيـة	٥٥
الحسـن والقبيح . . .	٥٦
مـوت الذات	٥٦
ضـيف عزيز	٥٧
العصر الحـاضر . . .	٥٧
طالب العلم	٥٧
امتحــان	٥٨
المدرسـة	٥٨
الحكيم نيتشه	٥٩
الاسـاتذة	٥٩
قطعـة	٦٠
الدين والتعليم	٦٠
الى جاويد	٦١
القسم الثالث ــ المراة .	٦٥
الرجـل الأفرنجى . .	٦٦
سـؤال	٦٦
حجـاب	٦٦
الخـلوة	٦٧
المـراة	٦٧
حرية النسـاء	٦٨
حصانة المراة	٦٨
المراة والتعليم	٦٩
المـراة	٦٩
القسـم الرابع ــ الأدب والفنون	٧١
الدين والفن	٧٢
التخليـق	٧٢

مضمون	صفحة	مضمون	صفحة
جنون	٧٣	أصحاب الفن فى الهند .	٩٣
الى شعره	٧٣	الرجل العظيم . . .	٩٣
مسجد باريس	٧٤	عالم جديد	٩٤
الأدب	٧٤	خلق المعانى	٩٤
البصيرة	٧٤	الموسيقى	٩٥
مسجد قوة الاسلام . .	٧٥	لذة النظر	٩٥
مسرح	٧٦	الشعر	٩٦
شعاع الأمل	٧٦	الرقص والموسيقى . .	٩٦
امل	٧٨	ضبط النفس	٩٦
البصيرة	٧٩	الرقص	٩٧
الى اهل الفن	٨٠	القسم الخامس –	
قطعة	٨٠	سياسيات المشرق والمغرب	٩٩
الوجود	٨١	انقلاب	١٠٠
الفناء	٨١	تملق	١٠٠
النسيم والندى	٨٢	المناصب	١٠٠
اهرام مصر	٨٣	اوربا واليهود	١٠١
مخلوقات الفن . . .	٨٣	عبودية الانفس . . .	١٠١
اقبال	٨٤	الروس الشيوعيون . .	١٠٢
الفنون الجميلة . . .	٨٤	اليوم والغد	١٠٢
صبح المرج	٨٥	المشرق	١٠٣
الخاقانى	٨٦	سياسة الفرنج	١٠٣
الرومى	٨٧	العبيد	١٠٤
الجدة	٨٨	الى أهل مصر	١٠٤
مرزا بيدل	٨٨	الحبشة	١٠٤
الجلال والجمال . . .	٨٩	أوامر ابليس الى ابنائه	
المصور	٨٩	الساسة	١٠٥
الفناء الحلال . . .	٩٠	جماعة الأمم الشرقية .	١٠٦
الفناء الحرام	٩١	الملك الخالد	١٠٦
الفوارة	٩١	الجمهورية	١٠٧
الشاعر	٩١	اوربا وسوريا . . .	١٠٧
شعر العجم	٩٢	من موسولينى	١٠٧

مضمون	صفحة	مضمون	صفحة
شكوى	١٠٨	نزعات العبودية . . .	١١٢
انتداب	١٠٨	صلاة العبيد	١١٢
السياسة اللادينية . .	١٠٩	الى عرب فلسطين . .	١١٣
شبكة التمدين	١٠٩	الشرق والغرب . . .	١١٣
نصيحة	١١٠	نزعات التسلط	
قرصان واسكندر .	١١٠	(اصلاحات)	١١٣
عصبة الأمم	١١١	القسم السادس	
الشام وفلسطين . . .	١١١	أفكار محراب جل الأفغانى	١١٥
ائمة السياسة	١١١		

تصحيح

صفحة	سطر	غلط	صواب
١٠٢	٥	الصليب سرا	الصليب كسرا
١١٦	١١	يبغى الشراب والفناء	يبقى الشراب والغِناءُ
١٢٠	١٢	حسر الرأس عنه	حسر الرأس منه
١٢٥	٣	يدرك الالوان بالبصر	... ذو البصر